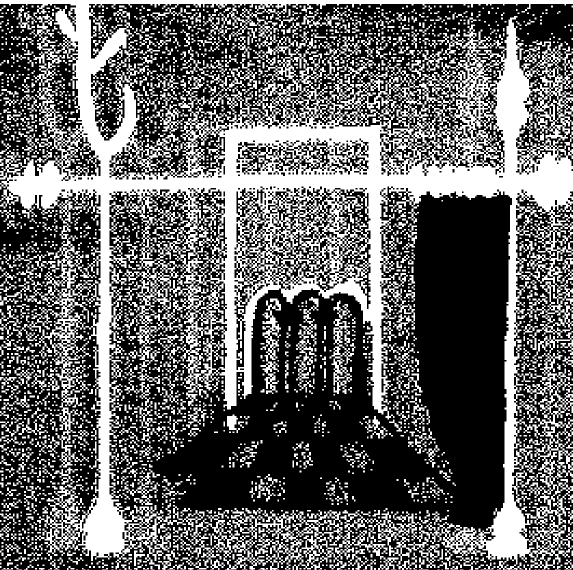


روائع المسرح العالمي

٦٩

الدار المصرية للتأليف والترجمة

روائع المسرح العالمي

٦٩

المسامر

تأليف : جون اوسبورن

ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى

مراجعة : يحيى حقي

THE ENTERTAINER

By

JOHN OSBORNE

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

ولد جون أو . . رن فى لندن فى الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٩ لأبوين من الطبقة العاملة هما توماس جودفرى أوسبورن ومارى بور ، وتزوج من نيللى بياتريس .

وتلقى أوسبورن قسطه من التعليم العام فى مدارس الشعب دون أن تتيح له ظروفه الخاصة ما قد يتاح لأمثاله اليوم من فرص التعليم العالى فى الجامعات .

وحاول فى مستهل حياته العامة أن يشتغل بالصحافة ولكنه لم يلبث أن تحول عنها الى المسرح حيث بدأ العمل ممثلا متواضعا فى احدى فرق الأقاليم ، وكان ظهوره على المسرح أول مرة فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ حيث قام بدور مستر براسلز فى مسرحية « لا توجد غرفة خالية فى الفندق » على مسرح الامباير فى مدينة شيفيلد .

وفى شهر مايو سنة ١٩٥٦ ظهر أوسبورن للمرة الأولى أمام جمهور لندن على مسرح الرويال كورت (البلاط الملكى) ليلعب دور أنطونيو فى مسرحية « دون جوان » ، ثم دور ليونيل فى مسرحية « موت الشيطان » مع فرقة المسرح الانجليزى .

غير أنه فى اليوم الثامن من ذلك الشهر على وجه التحديد قدمت هذه الفرقة مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » لجون أوسبورن ، فكان ذلك الحدث مولد ثورة عارمة اجتاحت المسرح البريطانى فى جميع الاتجاهات .

* * *

ومثل سائر الثورات لم تكن ثورة المسرح البريطانى نتيجة مصادفة مفاجئة أو حادث عارض ، فقد سبقتها نذروارهاصات فى المحيط الخاص للمسرح وفى المحيط العام للفكر على السواء .

ففى محيط المسرح الخاص كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى منتصف الخمسينات سنوات جدباء اضطر المسرح الانجليزى خلالها الى استيراد معظم بضاعته من انتاج الكتاب الأوروبيين بل والأمريكيين ، والاعتماد فى أغلب ماقدمه بعد ذلك على احياء تراثه القديم .

ومن هنا نشأت فى أذهان بعض قادة الحركة المسرحية فكرة انشاء فرقة جديدة تعتمد على مجموعة من الكتاب الشبان الذين لم يتجاوز سن الأربعين ، ممن تستهويهم الكتابة للمسرح لو أزيلت من طريقهم معوقات المديرين التجاريين والممولين الذين لا يفكرون الا فى الأسماء اللامعة حرصا على ايرادات الشباك .

وبعد مفاوضات طويلة حول مشروعات مختلفة تحطمت على

صخرة التدويل ، استطاع جورج ديفين فى أوائل سنة ١٩٥٦ أن يشكل فرقة المسرح الانجليزى ، وأن يستأجر لها دار مسرح الرويال كورت بعقد طويل الأمد ، مدته أربعة وثلاثون عاما .
وهكذا ولدت فرقة كتاب الطليعة .

أما فى المحيط الفكرى البريطانى العام فقد كانت سنة ١٩٥٦ سنة تدخل الحكومة فى ثورة المجر ثم فى حملة السويس ، هذا التدخل الذى لم تجن منه بريطانيا غير العار والمذلة وسقوط الهيبة فى كافة المحافل الدولية ، ولم يعقب فى نفوس الشعب البريطانى غير السخط والمرارة والغليان ، وبخاصة فى محيط الشباب فى الجامعات وأوساط المثقفين بعامة . فاختفت لغة المداورة والتحفظ . واستبدت بالكتاب والمفكرين نزعات السخط والغضب ، وشرعت الألسنة والأقلام تجرى فى الكيان البريطانى كله أكبر عملية تشريحية تعرض لها فى العصر الحديث ، تناولت من الناحية السياسية جسد الامبراطورية المتهالك المنهار ، ونفذت من الناحية الاجتماعية الى بؤر الانحلال واليأس والبؤس الذى أصاب سواد شعب الانجليز نتيجة سقوط الامبريالية وارتداد ادعياء « احكمى يابريطانيا » ــ مهزومين مثخنين بالجراح ــ الى صخرتهم الناتئة فى ملح البحار فيما بين المانش والأطلسى ؛ ونشيدهم الجديد ــ كما كتبه أوسبورن :
« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم

دعيني أخبيء نفسي فيك »

في هذا الجــو العــاصف كتب أوسبورن ــ وقدم المسرح الانجليزي ــ مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » ، وهي صيحة السخط والغضب على المجتمع البريطاني ومن أجله ، ثم مسرحية « المسامر » التي بين يدي القاريء ، وهي صيحة السخط والغضب على الامبراطورية البريطانية المنهارة ومن أجلها .

ويعتبر أوســبورن بهاتين المسرحيتين رائد الكتاب الساخطين من شباب مسرح الطليعة ، وأول كاتب درامي اســتطاع بجرأته وفكره أن يقحم المسرحيــة الحديثــة على المسرح الانجليزي بما يشبه الصدمة المزلزلة . بل ان السينما بدورها تلقفت المسرحيتين وأخرجت كلا منهما في فيلم اضطلع بالبطولة فيه نجوم عالميون .

ولقد كان عرض مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » نقطــة تحول في تيار التأليف في انجلترا بصفة عامة ، فقد كان أوسبورن في السادسة والعشرين من عمره ، وحظيت مسرحيته بنجاح ساحق لدى الناقدين ولدى النظارة جميعا ، فكان هذا حافزا لطائفة كبرى من الشباب على الكتابة للمسرح بعد أن كان اتجاههم الغالب الى القصة وغيرها من قوالب التعبير ، وصاحب هــذا التحول ظاهرة غريبة هي أن هؤلاء الكتاب الشبان وجدوا الفرق التي تخــرج لهم انتاجهم ، ثم وجدوا الجمهور الذي يقبل على مشاهدته .

ولعــل الظاهرة الأغــرب في تاريخ المسرح البريطاني هي أن

هؤلاء الكتاب الوافدين الجدد معظمهم من أبناء الطبقة العاملة . فقد ظل مسرح الحى الغربى فى لندن (الحى الأرقى فى المدينة) سنوات وسنوات وقفا على الطبقة الوسطى ، كتاب من الطبقة الوسطى — ممن أكملوا تعليمهم الجامعى على الأغلب — يكتبون لجمهور من الطبقة الوسطى . أما بعد أوسبورن فقد انهار هذا الحاجز ، وظهر الى جانبه من كبار كتاب المسرح الآن أووين وكليف اكستون وهارولد بنتر وغيرهم ممن شقوا طريقهم من صفوف العامة دون تعليم جامعى ، بعد سنوات من العمل كممثلين عاديين .

ولئن كان هذا هو الأثر المباشر لأوسبورن فى محيط المسرح الانجليزى ، فقد كان له فيه أثر آخر غير مباشر لا يقل عنه استحقاقا للتسجيل : فقد بدأت فرقة المسرح الانجليزى نشاطها بتقديم مسرحيتين لآنجوس ويلسون وآرثر ميلر ، وكانت المسرحية الثالثة هى مسرحية أوسبورن « انظر الى الوراء غاضبا » ، ولم يحل أول الخريف حتى كانت خسائر الفرقة قد بلغت نحو ١٣,٠٠٠ جنيه استرلينى ، ومن ثم عرضت مسرحية أوسبورن ثمانية أسابيع متوالية فكان ايرادها لا يزيد على النفقات الا بقليل. وفى بدء الأسبوع التاسع عرضت المسرحية على شاشة التليفزيون فقفزت ايرادات المسرح من ٩٥٠ جنيها فى الأسبوع الى نحو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع التالى ثم الى ١٧٠٠ فى الأسبوع الذى بعده . وبالاختصار فقد حصلت الفرقة من هذه المسرحية ومن

مسرحية أوسبورن الثانية « المسامر » فى خلال السنوات الخمس الأولى من حياتها على أرباح صافية قدرها ٥٠٠٠٠٠جنيه استرليني. (تدخل ضمنها ايرادات السينما والتليفزيون وحقوق الأداء الخ) .

وهذه الأرباح التى يرجع الفضل فيها لمسرحيتى أوسبورن هى التى مكنت الفرقة من تقديم المسرحيات الأخرى ذات القيمة الفنية التى قد لا يتاح لها مثل ذلك الحظ من النجاح التجارى .

* * *

وقد كتب أوسبورن قبل هاتين المسرحيتين اللتين عرضتا فى العاصمة عددا من المسرحيات التى لم تكن نشرت أو عرضت هناك حتى ذلك الحين ، مثل مسرحية « جملة تذكارية على قبر جورج ديلون » التى كتبهـا بالاشتراك مع آنتونى كريتون ، ومسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . كما كان له مسرحيتان عرضتا خارج لندن ، الأولى مسرحيـة « الشيطان المستقر فى جسده » التى كتبها بالاشتراك مع ستلا ليندن ومثلت فى هادرسفيلد سنة ١٩٥٠ ثم أعيد تمثيلها على مسرح اليمبرولك فى كرويدون سنة ١٩٦٢ باسم « دعـوة الى الحب من روبرت أووين » وهى تدور حول شاب من احدى قرى ويلز يظن به مواطنوه الغفلة ، بينما يرميه أفراد أسرته بجنون الجنس ، ولكن طالب طب وافـد على القرية يكتشف فيه مواهب أصيلة . غير أن الشاب لا يلبث أن يرتكب جريمة قتل فتاة من بنات القرية حين حاولت أن تنسب اليه طفلا حملت به فى سفاح .

والثانية وهى مسرحيــة « العــدو الشخصى » التى كتبهــا بالاشتراك مع أنتونى كريتون ومثلت فى هاروجيت سنة ١٩٥٥ ، تعرض موقف أحد الجنود ممن وقعوا فى الأسر فى حرب كوريا ثم أفرج عنه ، حين رفض العودة الى الوطن ، وما أثاره موقفــه هذا بين أهله وأصدقائه من انفعالات وتعليقات . ومما هو جدير بالذكر ان الرقابة تناولت بالحذف أجزاء كبيرة من هذه المسرحية عند عرضها ، منها فصـــل كامل عن الشذوذ الجنسى فى محيط المحاربين .

* * *

غير أن مسرحية « انظر الى الوراء غاضـــبا » هى التى رفعت أوسبورن الى مصاف الشهرة وجعلته بحق رائد المسرحية الحديثة، وأثارت من الضجة ما اعتبرت به ـــ كما قدمنا ـــ ثورة فى تاريخ المسرح الانجليزى . ولذا فان من حق القارىء علينا أن نقف به قليلا عند هذه المسرحية متسائلين عما فيها من خصائص أضفت عليها هذه الصفات

فأما من حيث الشكل فليس فى المسرحية جديد يدعو الى كل هذه الضجة ، نعم انهــا متينة البناء ، متناســقة مواقف الصعود والهبوط ، محكمة التوقيت ، الا أنهــا لا تخرج فى جملتهــا عن النمط التقليدى للمسرح الواقعى .

واذن فالمضـــمون ـــ لا الشـــكل ـــ هو الذى أكسب هــذه المسرحية وصفها الحديث وخرج بها عن نطاق المسرح التقليدى ،

ونريد بالمضمون هنا الشخصيات التى عرضتها واللغة التى ترجمت بها هذه الشخصيات عن أنفسها . فبطل المسرحية « چيمى پورتر » انما يمثل جيلا كاملا ، هو جيل ما بعد الحرب الذى اصــطلى بويلاتها وعاش عقابيلها ، ثم تطلع الى الخــلاص والفرج على يد حكومة العمال التى جاء بها فى سنة ١٩٤٥ ، ولكنه منى بخيبة الأمل حين فشلت تلك الحكومة فى تحقيق شيء من أمانيه ، وغدا بعد ذلك جيلا ساخطا متمردا يستهويه التحلل من أى قيد ومن كل قيــد .

وچيمى من ذلك الطراز الميال الى الحاق الأذى بالنفس ، يبدو مستوحشا منعزلا عن العالم فى منفــاه الذى اختــاره لنفسه ، يستمد القوة من مواطن ضعفه ، ويستقى البهجة من معين بؤسه وحرمانه . ونحن نعلم من سياق المسرحية أنه حاصل على درجة جامعية ، وانه شديد الغرور بعلمه وثقافته ، لا يقــرأ الا كتب التراث العميقة ولا يستمع الا لموسيقى الجاز الأصيلة ، ولا يطالع الا صحف الأحد الأنيقة ، غير أنه يعيش فى مسكن حقير فوق سطح أحد منازل حى كئيب ، ويكسب عيشه من بيع الحلوى فى (كشك) صغير فى سوق المدينة . كل شيء فى حياته باعث على السخط والشكوى ، فهما الطابع اللازم فى كل ما يصدر عنــه من حديث .

على أن الضحية الأولى لكل هذا انما هى زوجته أليسون التى يكن لها حقدا دفينا بسبب انتمائها الى أسرة من سراة الطبقــة

الوسطى ، فهو يداوم على تعذيبها وايلامها ليخضعها ويذلها عند قدميه . غير أنها ، وقد علمت أن خير وسيلة للدفاع عن نفسهـا هى اصطناع الهدوء وعـدم الاكتراث ، تأبى ما اسـتطاعت أن تستجيب لنزعته .

ويمضى الزوجان فى هـذه الحرب على مرأى من كليف الذى يشاركهما مسكنهما العجيب ، ويشهد بعين العطف مبلغ افتيات جيمى على زوجته ، ولكنه لا يستطيع أن يحدث أثرا فى عيشتهما المعقدة .

ثم تظهر شخصية رابعة هى هيلينا ، وهى ممثلة من صديقات أليسون ، قوية الشخصية شـديدة التعالى ، تهبط ضـيفة على البيت ، فيشتد تأزم الأمور لمجـرد حضورها ، وتزداد ثورات جيمى على اليسون عنفا ، فتشير عليهـا هيلينا أن تغادر البيت وتلجأ الى منزل أسرتها ، فتخرج هذه وهى تحمل فى أحشائهـا جنينا لم تجد الفرصـة لاخبار زوجهـا بحلوله . ولكن هيلينا لا تلبث — فى نهاية الفصل الثانى — أن تقع بين ذراعى جيمى .

ويرتفع الستار فى الفصل الثالث عن جيمى وقد اسـتقر على معاشرة هيلينا واستراحت نفسه اليهـا ، ما دام لا يلتزم أمامهـا بشىء ، ولا تربطه بها الا شهوة البدن . وعندما يعلن كليف لجيمى رغبته فى ترك البيت والبحث عن مسكن آخر يجيبه هذا بقوله :

« انه لأمر عجيب . لقد كنت على الدوام مخلصا كريما وصديقا

وفيا ، ولكنى على أتم الاستعداد لأن أراك تمضى باحثا عن مسكن جديد تستقل فيه بنفسك ، كل هذا من أجل شيء أريده من هذه الفتاة ، شيء أعلم من صميم قلبى انها لا تستطيع اعطاءه . انك تساوى عشرين هيلينا فى نظرى أو نظر أى انسان ، ولو كنت مكانى لفعلت نفس الشيء ..... لماذا ، لماذا نترك هؤلاء النساء يستنزفن دماءنا حتى الموت ؟ أما تلقيت قبلا خطابا مختوما عليه عبارة « كن كريما وتبرع بدمك » ؟ ان مدير عام هيئة البريد انما يفعل هذا لحساب كل نساء العالم . فى اعتقادى ان أبناء جيلنا لم يعودوا قادرين على أن يموتوا فى سبيل قضايا سامية ، فقد فعل غيرنا هذا نيابة عنا جميعا فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كنا ما نزال صبية ، ولم تبق أى قضية تتسم بالسمو أو الشجاعة . ولو أن الواقعة الكبرى وقعت فقضى علينا جميعا فلن يكون ذلك فى سبيل الهدف الرفيع الأسبق ، وانما يكون فى سبيل الجرىء الجديد من لا شيء شكرا لك ، مما لا هدف وراءه ولا مجد فيه كالقاء الانسان بنفسه تحت عجلات الأوتوبيس . لا لم يبق لنا شيء يا ولدى سوى أن نسلم أنفسنا للنساء ليذبحننا » .

وتعود أليسون الى البيت وقد فقدت طفلها . وحين تحاول هيلينا أن تخرج نفسها من الورطة المؤلمة التى تردت فيها يقول لها جيمى :

« لا خـــير فى أن تحاولى مخادعة نفسك فى شأن الحب فانك لا تستطيعين أن تقعى فيه كأمر هين دون أن تلطخى يديك ، انه يستغرق العضــلات والأحشـــاء . واذا كنت لا تحتملين فكرة تلويث روحك الطاهرة فخير لك أن تتخلى عن فكرة الحياة كلها وتتحولى الى قديسة لأنك لن تستطيعى أن تعيشيها كما يعيشها الآدميون . فاما هذه الدنيا واما الآخرة » .

ثم يتجه الى أليسون ويقول لها :

« أكنت حقا على خطأ حين اعتقدت أن هناك نوعا من رجولة العقل والروح المتوقدة التى تبحث عن شىء يضارعها فى القوة . ان أثقل المخلوقات وأقواها فى هذا العالم تلوح أشدها وحدة ، كمثل الدب العجوز الذى يستهدى بأنفاسه ذاتها فى ظلام الغابة ، حيث لا أسرة تدفئه ولا قطيع يؤنسه . والصـــوت الذى يبكى ليس لزاما أن يكون صادرا عن ضعيف » .

وحينذاك تفصح أليسون عن نفسها لأول مرة :

« لقد كنت مخطئة ... أنا لا أريد أن أكون محايدة ، ولا أريد أن أكون قديســـة . أريد أن أكون قضـــية خاسرة ، أريد أن أكون موصومة تافهة . ألا تفهمنى ؟ لقـــد ذهب . لقـــد ذهب . هذا الكائن الآدمى الذى لا حـــول له فى أحشائى . كنت أظنه آمنا مطمئنا هناك . ما كان شىء يستطيع انتزاعه منى . كان ملكا

لى وديعة بين يدى ولكنه ضـــاع . كان قصارى ما أرجوه أن أموت . ما عرفت حقيقة هذا الأمر من قبل أبدا ، وما كنت أعرف أنه يمكن أن يكون كذلك ، كل مااستطعت أن أفكر فيه وأنا فى غمرة الألم هـــو أنت وذلك الذى فقـــدته . قلت لنفسى آه لو استطاع أن يرانى الآن وأنا أشد ما أكون غباء وكآبة واستثارة للسخرية ، فهذا ما كان يتمنى لى أن استشعره . هذا ما يريد أن يعوم فيه ويسبح . انى لفى النار ، وانى أحترق ، وكل مايريده: أن أموت . لقد كلفه ذلك حياة طفله وأى أطفال غيره ممن عساى كنت ولدتهم . ولكن ما أهمية ذلك ــ هذا ما كان يريده منى . ألا ترى ؟ لقد أصبحت فى الوحل منكبة على وجهى أتمرغ فيه . أوه ، يا الهى ... »

وعندما يشعر چيمى آخر الأمر بما صنعت يداه ينهار ويمد يديه فيرفع زوجته المتهالكة عند قدميه ويضمها الى صدره متوســـلا اليها أن تكف عن البكاء ، مبشرا لهـــا بحياة زوجية مقبلة لهـــا حلاوة الشهد .

وقد أودع أوسبورن حوار المسرحية صيحات ســـخطه ونقده المرير لكل ما حوله من وجوه الحياة البريطانية وأحداثها . وهذه الصيحات هى بحق صميم الجرىء الجديد فى مسرحيته .

فقد أصبحت انجلترا فى نظره ــ وانه لمنصف صـــادق يتكلم بلسان الناس جميعا فى أركان العالم الأربعة ــ أصبحت انجلترا

بسياستها الخرقاء وطنا ضائعا مهلهلا يحـار المواطن الانجليزى كيف يخلص له الولاء : « اعتقد أن الناس من أمثالى لا يفترض أن يكونوا على قدر كبير من الوطنية ... فنحن نستورد طبيخنا من باريس ، وسياستنا من موسكو ،وأخلاقنا من بورسعيد »

وأصبح من المسلم به عنده أن انجلترا قـد غدت مستعمرة أمريكية من حيث المكان والزمان جميعا : « ان من أكبر دواعى الضيق أن تعيش فى العصر الأمريكى ، ما لم تكن أمريكيا طبعا ». لا بل أن الاستعمار الأمريكى يقتحـم على الانجليز مخادعهـم ويفتك بأعراضهم : « لعل كل أطفالنا سيكونون أمريكيين » .

وحتى رجال الدين عنده قـد أصـيبوا باللوثة التى أصابت السياسيين ، فهاهو أحـد كبار الأحبار « يوجـه نداء قويا يهز المشاعر الى سائر المسيحيين ليبـذلوا كل ما يستطيعون للمعاونة فى صنع القنبلة الذرية » .

وهو يسخر من أبناء الجيـل المـاضى الذين يعيشون فى عالم اليوم بعقلية جامدة لم تحررها صدمات الواقع . فهـذا الكاتب « مثـله كمثـل أبى ، ما زال يتطلـع الى الوراء يرقب العصر الادواردى بنظرات حالمة » . وهـذا الضابط السابق فى الكتيبة الادواردية السابقة ــ أبو أليسون ــ يعود من الهند بعد سنوات طوال من الدعة والفخفخة ، بعد أيام الصيف المشمسة ودواوين الشعر ووسائد الحرير وكل صور الحياة الرومانسية التى ضاعت

بلا رجعة . ان أوسبورن نادم على كل هذا نيابة عنه ، « واذا لم يكن لك دنياك الخاصة ، فان من دواعى السعادة أن تندم على دنيا شخص آخر ولت وانقضت » . وهــو يصفه بأنه « عجوز مسكين .... ليس الا واحدا من تلك النباتات المتعطشة المتخلفة من متاهات العهد الادواردى ، والتى تأبى أن تفهم لمـاذا توقفت الشمس عن الطلوع » .

لا بل ان « أمثال هؤلاء موجودون فى الحقيقة فى كل مكان يزحمونه بحيث لا تستطيع أن تتحرك بينهم . انهــم فئــة حالمة يقضــون معظم وقتهم متطلعين الى المــاضى عسى أن يعــود ، والمكان الوحيد الذين يستطيعون أن يروا فيه النور هو العصور المظلمة » . لقد اعتكف كل منهم « منــذ زمان طويل فى كوخ نفسى جميل منقطع الصلة تماما بمشاكل القرن العشرين الكالحة».

وكذلك يسخر أوسبورن من طبقة السياسيين الذين يتوارثون التفاهة وخواء الرؤوس خلفا عن سلف . « انك لم تسمع أبدا بمثل هذا العدد الهائل من التافهين الذين أحسنت تربيتهم يخرج من تحت قبعة واحدة » . ان هذا الشاب العادى الفارغ الرأس « سينتهى به الأمر الى تقلد الوزارة يوما ما . هذا مما لا شك فيه ... ان معلوماته عن الحياة وعن أفراد البشر العاديين سطحية الى حد أنه يستأهل ان يمنح نوعا من الوسام مكتوبا عليه « من أجل السطحية فى الميدان » ... والى هذا فهو وطنى وانجليزى ،

وهو يرفض الرأى القائل بأنه وأمثـاله كانوا يتاجرون بأرواح مواطنيهم كل هذه السنين » .

* * *

ولقد كان من رأى بعض النقاد أن « انظر الى الوراء غاضبا » مسرحية مرتبكة مشوشة ، سواء فيما يريد المؤلف أن يقوله فيها ، أو فى الطريقة التى يقولها بهـا . ولـكن البعض الآخر رأوا أن لا أهمية لمثل هذا الاعتراض ، فالمسرحية تدور حول الأشخاص ، وليست تدور حول الأفكار بالضرورة . وليس المهم أن أوسبورن مثل لنا جيمى كمجموعة من المتناقضات ـ كما هو حال معظمنا ـ بل المهم أنه استطاع أن يجمع كل هـذه المتناقضات فى تشخيص درامى مقبول لانسان معقد جعل منه نقطة التقاء لأفكار كثير من الناس من أبناء جيل ما بعد الحرب ، ممن أحسوا بأن عالم اليوم يرفض أن يساير أهواءهم .

على أن الذى أخذ على أوسبورن بحق أنه يولى أبطاله من الرعاية ما يجعله يهبط بكافة الشخصيات الأخرى التى حولهم . فهو لا يضع أمام البطل غريما قوى الشخصية فتخرج التأثيرات الدرامية من الاحتكاك والتصارع بينهمـا . بل انه يعتمـد فى الاثارة ، أغلب ما يعتمد ، على الحوار المتدفق الذى يشد سمع المتفرجين .

غير أنه فى مسرحية « جملة تذكارية على قبر جورج ديلون » وضع بازاء البطل الشاب الغاضب شـخصية أخرى لا تقل عنه

قوة ، بل انهـــا تلقى ظلال الشك على قوته واعتباره فى نهـــاية المسرحيـــة . ولعل هـــذا هو أثر اشـــتراك أنتونى كريتون مع أوسبورن فى كتابة هذه المسرحية .

وچورچ ــ بطل المسرحيـــة ــ ممثل وكاتب . وهـــو يحاول استغلال أفراد أسرة اليوت ، وهى أسرة ميسورة الحال ساذجة تعيش فى أطراف لندن . ومع أن رب الأسرة لا يأبه لچورچ فان هذا الأخير ينفذ الى أغراضه عن طريق الأم ــ لأنه يذكرها بابنها المتوفى ، وعن طريق چوزى الأبنة الغبية الجامدة .

ويعتبر چورچ من الفاشلين وان كان يعلل نفسه وسامعيه دائما بأنه فى انتظار النجاح ، وهو بطل أوسبورنى نموذجى من حيث تميزه بالسخط والقلق والاندفاع الى مهاجمة كل ما حوله دون هدف واضح . ويجد چورچ فى روث ــ أخت مستر اليوت ــ ذات المبادىء اليسارية ، شخصية تشبهه فى كثير من النواحى ، فهى شيوعية سابقة انفصلت فجأة عن الحزب بعد ســبعة عشر عاما من الانتماء الناشط اليه ، ثم انفصلت بعد ذلك عن خطيبها بعد علاقة دامت ست سنوات لانها اكتشفت ان ارتباطهما لم يقم الا على أساس أكاذيب تافهة ملفقة . وهى مثل چورچ غير واثقة من نفسها أو دنياها ، وهى غير راضية عن الوضع الذى استقرت فيه ، ولكنها لا تميل لتغييره .

وفى لقاء عاصف بينهما ، يبدأ غزلا عاطفيا ولكنه يتحول فجأة

الى صدام عنيف . يفضح كل منهما خبيئة نفس صاحبه ، ويسلم چورج علانيــة بأنه انما يعيش على طائفــة من الأوهام ، وانه لا يعرف لنفسه فى الحق أى مقدرة أو موهبة . وبعد رحلة طوافة فى الأقاليم يجمع فيها بعض المــال ، يتزوج من چوزى ويعيش معها عيشــة ريفية وهو واثق فى صميم نفسه من أن كلتيهما ، الزوجة والعيشة ، ليست على شىء من حقيقة ما يهواه .

ويعتبر النقاد أن هذه المسرحية بما فيهــا من التوازن ، ومن النفــاذ الى أعماق الشخصيات والاحاطة بأبعادها دون اخــلال بحرارة الحوار وقوته ، تعد أكمل أعمال أوسبورن المسرحية .

ويعترف أوسبورن صراحة بتأثره فيهــا بأعمال بريخت التى ألقت فى نفسه شعاعا من النور أعانه على تعرف حدود الواقعية ، والتحرر من قيودها .

ومن أجل هذا كان تأثير بريخت واضحا فى مسرحيته التاليــة ــ المسامر ــ فى عدد من المواضع .

ونؤجل الآن الكلام عن مسرحيــة المسامر ريثما نلقى نظرة متكاملة على بقية أعمال أوسبورن التى تلتها . فقد كتب بعدها مباشرة مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » التى وصفها بأنها كوميديا أخلاقية موسيقية ، والتى يرى عامة النقاد ــ وبحق ــ أنها أكثر مسرحياته فشلا ، خصوصا وأنها ظهرت عقب «المسامر» فجاءت ، بالمقارنة الى هذه الأخيرة ، مخيبة لأمل جمهور أوسبورن.

الذى كان يترقب منه عملا آخر بارعا . والظاهر أن هذه المسرحية كتبت قبـــل « أنظر الى الوراء غاضـــبا » ، وكانت أول محاولة لأوسبورن فى مجال لا يصلح له البتة ، ألا وهو مجال النقـــد الساخر لرذائل المجتمع . نعم ان أكثر عبارات أوسبورن اشراقا فى مسرحياته غالبا ما تنطوى على نقدات اجتماعيـــة ، ولكننا لو تأملناها عن قريب لوجدنا أن النقد الذى تضمنته لا يرتكز على دراسة موضوعية عميقة ، وانما هو نقد شخصى مرتبط بالذات التى يجرى على لسانها .

فالنقد الاجتماعى يستوجب قبل كل شيء قسطا من الموضوعية، بحيث يستقصى الناقد أبعاد مواطن الضعف فى موضوعه ثم يتجه اليها فى هجوم مباشر ، مستبدلا اظهار السخط والغضب بسلاح الكشف والتعرية والتهكم المدروس ، الأمر الذى كان أوسبورن أبعد ما يكون عنه فى مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . فقد هاجم فيها كل شيء كبر أو صغر بنفس الدرجة من التوقد والعنف ، فتهزأ من الكنيسة ، ومن الطبقة الارستقراطية ، ومن الصحف المنحطـــة ، ومن هؤلاء النساء المـــذكرات والرجـــال المؤنثين ، ومن فساد ذوق المراهقين فى الموسيقى ، ومن عاطفيـــة المجـــلات النسوية ، ومن مشجعى الرياضات الدموية العنيفـــة والعقوبات البدنية ، ومن المناهضين للسامية والتفرقة العنصرية وصنع القنبلة الذرية ، ومن كل شيء آخر يجد فيه شباب الجيل

الساخطون موضعا لسخطهم ، حتى ليصدق على أوسبورن ق. هذا ما قاله هو نفسه فى مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » عن جيمى بطل المسرحية ، من أن مجاهرته بالسخط على أى شىء وعلى كل شىء ، دليل على أنه انسان لا يعول عليه .

والواقع أنه لا يمكن أخذ أوسبورن على محمل الجد فى كثير من مواضع النقد التى استهدفها فى مسرحية « بول سليكى » ، وهو صحفى ينقل أحاديث المجالس ويهاجم أصحاب الشهرة ، أراد أوسبورن أن يجعل منه البطل الشرير فى المسرحية ، ولكنه لا يلبث أن يظهره كارها لعمله ، يتردد أحيانا بين الشك والضيق، ويرى نفسه ضحية الآلة التى يديرها قبل أن يكون محركها ، ثم يرفع عنه اللوم موجها اياه الى فئة غير محدودة ولامعروفة ، هى التى أجبرته على أن يختط فى حياته ذلك الطريق المنكود !!

ومثل هذا ، الأب ايفلجرين ، ذلك القسيس الذى يصوره لنا كالح الوجه مفسدا لا يلقى الا العظات الساخرة ، ويصب عليه أعنف النقد ، ثم لا يلبث أن يرينا انه انما كان قسيسا زائفا ينتحل رداء الكهنوت وهو ليس من رجاله على الاطلاق . واذا بالحملة العنيفة التى يتوهم المرء أنها موجهة ضد الدين أو رجاله تسفر عن « حملة سلام » ضد مقلدى رجال الدين ومنتحلى ثيابهم !!

وكذلك حملته على الطبقة الارستقراطية التى يظن القارىء

أنها من أهداف المسرحية الأولى ، حين يقدم لنا اللورد والليدى مورتليك رمزا لتلك الطبقة بامتيازاتها الجائرة وتقاليدها البالية ، ولكنه لا يلبث أن يجعلهما أحب شخصيات المسرحية وأولاهـا بالعطف ، حيث يخلع عليهما الرقة ودقة الحس والهيبة ، ويرينـا أن لا عيب فيهما وانما العيب فى العالم المجنون المتلبد الذى وجدا نفسيهما فيه !!

أما قصة المسرحية فتـدور حول طائفـة من النساء والرجال ــ على رأسها بول سـليكى وزوجته ابنـة اللورد مورتليك ــ يتواضعون على تبادل العلاقات الجنسية غـير المشروعة ، وعلى أن لا وسيلة للتخلص من ملل الحياة الزوجيـة الا بتغيير رفيق الجنس .

وتتضمن المسرحية أربع عشرة أغنية يصدق عليها ما يصـدق على أغانى مسرحية المسامر من أن الرواية الشعرية ليست الميدان الذى يستطيع أوسبورن أن يبرز فيه .

* * *

وقد كتب أوسبورن للتليفزيون مسرحية وحيدة عنوانهـا : « موضوع فضيحة واهتمام » قدمتها هيئة الاذاعة البريطانية . وتتناول المسرحية حادثا تاريخيا هو محاكمـة جورج هوليوك ، وهو آخر رجل حكم عليـه بالسجن فى بريطانيا بتهمة الالحـاد سنة ١٨٤٢ لأنه صرح فى اجتماع عام بأنه لا يعتقد بوجود الله .

والمسرحية تصوير دقيق لوقائع المحاكمة كما استقاها أوسبورن من الوثائق التاريخية ، وهى ترينا كيف أن جورج تولى الدفاع عن نفسه بنفسه رغم ما هو مصاب به من عاهة فى النطق ، ورغم جهلة التـــام بالقانون . كما ترينا أن هذا الرجل بدأ وانتهى لغزا صامتا لم تواته فصاحة اللسان الا مرة واحدة حين وقف بين يدى قضاته يدافع عن عقيدته الالحادية .

والطريقة التى كتبت بها هذه المسرحية تستحق الملاحظة . فقد اعتمد أوسبورن فيها على أسلوب الرواية ، حيث يظهـر الراوية فى البداية ، ثم كل فترة ، ليخبر المشاهدين بما سيرونه من الوقائع، مع التعليق عليها فى بعض الأحيان .

وعلى سبيل المثال تبدأ المسرحية بالراوية يقول للمشـــاهدين : « مساء الخير » أنا محام . لا أهمية لذكر اســـمى لأنه ليست لى علاقة مباشرة بما أنتم مقبلون على مشاهدته . وما أقدمه اليكم هو مجرد سمر ، فليس هناك ما يدعو الى أن تكفوا عمـــا أنتم مشتغلون به . والذى توشكون أن تشاهدوه هو رواية صادقة لحادث غامض فى تاريخ وطنى ، أو وطنكم . وكل ما سأفعله هو أن أسد مواضع الفراغ العارضـــة ببعض الايضاح الضرورى ، كما يفعل معكم مذيعو التليفزيون فى الواقع . ولن أزعجكم حقا بشىء غير مألوف » .

والواقع أن هذا الأسلوب محطم للمسرحية ، اذ ما تكاد تقف

على قدميها حتى يظهر فى الراوية فيباعد بينها وبين المشاهد، ويحول دون استمتاعه بتتبعها . والظاهر أن أسبورن قد تأثر فى هذه المسرحية بأساليب بريخت ، غير أن استخدامه للرواية ينطوى على فهم سقيم لأفكار بريخت ، فضلا عما فيه من غض لذكاء المشاهدين .

* * *

وبعد هذا كتب أوسبورن مسرحيته التاريخية الثانية « لوثر » واتبع فيها كذلك طريقة السرد التاريخى من واقع الوثائق ، وأجرى على لسان لوثر نفس الألفاظ التى نطق بها فى زمانه كلما استطاع أن يعثر عليها .

وقد أخذ على هذه المسرحية ما أخذ على غيرها من أن أوسبورن لم يحاول أن يجعل التأثير الدرامى نابعا من احتكاك الشخصيات المتكافئة واصطراعها ، بل اعتمد على الأحاديث الفردية (المونولوج) المثيرة . وحتى فى المنظر الذى يحتدم فيه النقاش بين لوثر وكاجيتان — مندوب البابا — نراهما لا يشتبكان أبدا فى المناقشة بحيث يكون كلام أحدهما جوابا على كلام الآخر ، بل يبدو حوارهما (ديالوج) وكأنه حديثان فرديان (مونولوج) جرى المزج بينهما بعناية .

كان من رأى أحد النقاد أن « لوثر » جاءت أعظم دليل مادى على مقدرة أوسبورن فى التأليف المسرحى . غير أن بعضهم لاحظ

أن التجاءه الى استثناء موضوعه من التاريخ فى هذه المسرحية وسابقتها : « موضوع فضيحة واهتمام » ، بعد وضوح تفاهة موضوع « عالم بول سليكى » ، لاحظوا أن هـذا قد يوحى بنضوب معين الخيال عند أوسبورن ـ ولو بصفة مؤقتة ـ فيما يتعلق بالقدرة على خلق الشخصيات الجديدة والمواقف الدرامية، واضطراره الى تكرار أشخاص وأحداث سبقت الى الوجود .

على أن مسرحية لوثر صادفت نجاحا شعبيا كبيرا ، وثناء حارا من غالبية النقاد ، الأمر الذى يدل على أن أوسبورن قد استطاع السيطرة على المادة التاريخية ، وصوغها فى مسرحية ، وهى وان لم تبلغ حد الكمال فى بعض التفصيلات فانها كتبت ببراعة اجتذبت جماهير المتفرجين ، وأثبتت أن أوسبورن مالك لناصية فن التأليف المسرحى .

* * *

وفى سنة ١٩٦٢ قدم مسرح الرويال كورت لأوسبورن مسرحيتين كل منهما ذات فصل واحد تحت عنوان « مسرحيات لانجلترا » . والمسرحيتان هما : « دم آل بامبرج » و « تحت الغطاء العادى » .

وأولى هاتين المسرحيتين هى ـ باتفاق جميع النقاد ـ أضعف ما كتبه أوسبورن . وهى تدور حول حفلة زفاف فى أسرة مالكة تجلس فيها العروس الملكية فى انتظار عريسها الملكى الذى يقتل

فى آخر لحظة فى حادث فى الطريق ، فتضطر الأسرة انقاذا للموقف لأن تحل محله مصورا صحفيا استراليا تصادف أنه يشبه الأمير المتوفى شبها غريبا حتى لكأنهما توأمان . ومع ما يبدو لأول وهلة من الجرأة فى المسرحية ، باعتبارها تهكما على زفاف ملكى ، فان أسبورن ينتهى بها الى اكتشاف أن المصور الصحفى يجرى فى عروقه دم ملكى يؤهله للزيجة التى أقحم فيها !!

وأما المسرحية الثانية فهى تمثل زوجين — تيم وجينى — يعيشان عيشة عادية من جميع الوجوه فيما عدا هواية غريبة يمارسانها ، هى تمثيل مواقف خيالية يلبسان لكل منها ماينناسبه من الثياب ، تكون السيطرة فيها لأحدهما مرة وللثانى مره أخرى . فتكون هى ممرضة شديدة جادة ويكون هو المريض المتألم . أو يكون مخدوما قاسيا غليظا وتكون هى خادمة مضطهدة وهكذا ، غير مدخرين شيئا من الحماس والخيال فى أداء تلك الأدوار . وتكون النتيجة أن يظل هذان الزوجان سعيدين فى بيتهما وبين أبنائهما لأنهما يصطنعان نوعا من توازن القوة والضعف ينفسان به عما يفسد حياة غيرهما من الأزواج .

غير أن أوسبورن لا يلبث أن يدخل عليهما ستانلى ، وهو صحفى فضولى حسود ، فيثبت لهما أنهما — دون أن يعلما — ليسا الا أخا وأخته ، ويفرق بينهما ، ويزوج جينى من شخص آخر ، بل ويجعل تيم يحضر حفل زفافها بوصف كونه شقيقها .

ولكن هـذا الزواج لا يدوم ، اذ نرى بعد قليل تيم وجينى قد اجتمعا ، ونرى ستانلى يطرق بابهما ليحدثهمـا ولكنه لا يحظى بجواب .

وتعرض هذه المسرحية فى نصفها الأول موضوعا جديدا ، أو هى على الأقل تعرض موضوعا مطروقا — العلاقة الزوجية — من زاوية جديدة . وهى الى هنا تعتبر من خير ما كتبه أوسبورن بعد مسرحية « المسامر » ، غير أنها فى جملتها تنبو عن المعقول والمقبول ، اذ يهدم فى نصفها الثانى معظم البناء الدرامى الذى أقامه فى النصف الأول .

* * *

نصل الآن الى مسرحية « المسـامر » ، وهى ثانى مسرحيـة لأوسبورن عرضتها فرقة المسرح الانجليزى على مسرح الرويال كورت بلندن ، بعد مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » .

وهى من حيث القالب مسرحية نصف شعرية نصف موسيقية — ان صح هذا التعبير — حيث تتخللها عشر أغنيات (منهـا اثنتان معادتان) يؤدى آرشى بطل المسرحية ثمانيا منهـا على المسرح الذى يحترف العمل عليه ، وهو المسرح الذى ينقلنا اليه أوسبورن من موطن أحداث القصة الأصلية للمسرحية (وهو بيت أسرة رايس) كل فترة ، نقلا لا يخلو من الافتعال . وقد قصد أوسبورن بهذا أن يخرج لجمهوره بمسرحيـة موسيقيـة فى المقام الأول ، فهو يقول فى ملاحظة له فى صدر المسرحية :

« ان صــالة الموسيقى تحتضر فيحتضر معهــا جزء هام من انجلترا . لقد ضاع جزء من قلب انجلترا ، هو ذلك الشيء الذى كان كل انســان يعتبره ملكا خالصا له ، لأنه كان فنا شعبيا حقــا » .

غير أن هذه المحاولة تمت فى الواقع لحساب خلخلة البنــاء الدرامى للمسرحيــة ، حيث تبدو الأغانى على الصــورة التى وضعت بها حشوا شاذا فى ثنايا هيكلها العــام ، وان خففه من شذوذها ان محمولها يتمشى مع المضمون العام للمسرحية ، من اظهار السخط والاشمئزاز على ما طرأ فى دنيــا الناس ودنيــا المسرح على السواء من مساوىء .

ويقوم بناء المسرحية على سلسلة من المشاهد الواقعية التى تروى قصة آرشى رايس ، وهو ممثل هزلى يدير فرقة استعراضية تعمل فى احدى المدن الساحليــة ، وتعتمد على عرض النســاء العاريات خلف الســتائر الرقيقة ، ولذا فهى تسمى « الوضــع العــارى ـــ أو الوضع المجــدد ـــ لرقصة الروك آند رول » (انظر النص) .

وتدل شخصيــة آرشى وتصرفاته على أنه جلف منحل فارغ كالطبل الأجوف ، لايستطيع ـــ ولا يريد ـــ أن يصل حبله بأى علاقة انسانية نقية سواء مع أفراد أسرته أو سائر الناس .

ففى محيط أسرته نراه يحب أباه « بيلى » ، وهو ممثل متقاعد

من بقايا عصر المسرح الوقور المزدهر ، ولكنه يثير حنقه وسخطه علــى الدوام بمــا ينزلق اليه فى عمله من التهريج الرخيص فى « سوق اللحم العــارى » ، وما يتورط فيــه من مشروعــات مسرحية خاسرة تسوقه الى الافلاس وتهدده بالسجن مرة بعد أخرى .

أما بالنسبة لزوجته « فوبيا » فهو مشفق يرثى لحالها ـــ وهى الجاهلة الساذجة ـــ ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون زير نساء تبلغ به الجرأة أن يجلب الفتيات الى البيت ودون حياء أومداراة ، وأن يكاشف أبناءه بوقائع تبذله ودنســه . بل انه يريد آخر الأمر أن يطلق زوجته ليتزوج من فتاة فى عمر ابنته ، ليستطيع أن يحصل من والديها على مال ينقذ به نفسه من الافلاس ، لولا أن أباه « بيلى » يسارع الى ابلاغ أسرة الفتاة أنه رجل متزوج له ثلاثة أولاد ، وهو العدد المعترف به شرعا على الأقل .

وابنته الكبرى « جين » فتاة مثقفة ـــ على خلاف أخويها ـــ ذات ميول يسارية غامضة ، فى خلقها بعض التعالى ، ولذا فان أباها آرشى يعاملها بحذر ومداورة ، ولكنها تحاصره فى النهاية وتمطره وابلا من السخط والتجريح .

أما « فرانك » ولده الكبير فهــو شخصية معتلة ، عاطفى خجول ، امتنع من تقديم نفسه للجندية فحوكم وحكم عليــه بالسجن ستة شهور قضاها يعمــل وقادا فى أحد المستشفيات ، ثم خرج منها محطما بلا عمل ولا أمل .

ويبقى ولده الأصغر « ميك » الذى نسمع عنه ولا نراه ، وهو الذى يحمل الطرف الآخر من مأساة أسرة « رايس » . ذلك أنه يتقدم للجندية بمجرد استدعائه ، ولكنهم لا يلبثون أن يرسلوه للقتال فى معركة غير مفهومة الدوافع فى أرض نائية عن الوطن ، ألا وهى معركة السويس ، وفيما تنتظر الأسرة كلها عودته خلال أيام تفاجأ به يعود مسجى فى أكفانه ، لقد قتله « الأعداء » .

وحتى هذه المحنة لا تمس آرشى الا لحظات قلائل يعود بعدها الى حاله انسانا ميتا لا أمل فى قيامه .

والواقع أن أوسبورن قد اتخذ من أسرة رايس مطية رمزية حملها كافة وجوه اليأس والخذلان التى أصابت الامبراطورية والشعب الانجليزى بعد سنوات طوال من النصر الظاهرى الذى أصابته انجلترا فى الحرب العالمية الأخيرة ،سنوات طوالا من الترقب والانتظار لم يجن من ورائها جيل أوسبورن الا الخيبة والمرارة .

وعلى ألسنة أفراد هذه الأسرة ألقى أوسبورن بكل سخطه وهزئه فى جرأة مذهلة .

* * *

فهو يعرض للناظر « بريتانيا » — وهى الصورة الرمزية التقليدية للامبراطورية — فى شكل فتاة ما تزال تحمل الخوذة

على رأسها والحربة فى يدها ولكنهـا عارية جردت من ثيابهـا ووقفت هناك نهبا للانظار .

وفى احدى أناشيده يقول ـ على لسان آرشى :

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد ... يا انجلترا العجوز الطيبة أنت لى كقدح الشاى ... لا تدعوا مشـاعركم تتوزع ... لأن البريطانيين سيـكونون أحـرارا ... والجيش والبحرية والطيران هى كل مانحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا أنه مازال ملكا لـكم ذلك الأحـمر والأبيض والأزرق (العلم البريطانى) وهذه القطع الحمراء التى مازالت على الخريطة لن تتخلى عنها دون قصاصة من الورق . فما لدينا مما بقى سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم » .

وفى نشيد آخر يقول آرشى :

« عند ما يهدد تراثنا فى الوطن أو عبر البحار ، فان الشباب من أمثالنا ، نعم أنتم وأنا ، هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر . يقول بعض الناس اننا انتهينا ... أصبحنا فى خبر كان ، ولكننا لو وقفنا جميعا الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة ، فان المعركة ستكسب » .

وفى معرض التنـدر بما وصلت اليه بريطانيـا من العـوز واستنزاف الموارد يغنى فرانك أغنية يصفها بأنها « بريطانية جدا ودينية جدا » فيقول :

« بعد ما هتفتم احكمى يا بريطانيـــا ، وبعد ما غنيتم « حفظ الله الملكة » ، وبعد ما انتهيتم من قتـــل كروجر (اشـــارة الى الألمـــان » بأفواهكم ، ألا تتعطفون فتسقطون شـــلنا فى رقى الصغير ، لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب ؟

« انه شحاذ شـــارد اللب كثير مواطن الضعف ... ذاهب الى الخدمة العاملة وقد خلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة .

« خمسة آلاف حصان ورجل تلقت الأمر بالسفر الى خليج تيبل ، كل منهم يؤدى عمل بلاده ، ومن الذى سيرعى الفتاة ؟ »

وأخيرا يعرض أوسبورن وجهة نظر المواطن البريطانى فى تلك السياسة الامبريالية التى ما تزال حكومة بلاده متعلقة بها ، والتى بدأ خرقهـــا أوضح ما يكون فى حرب السويس ، فيقول على لسان جين بعد أن تلقت خبر مقتل أخيها ميك :

« لمـــاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغـــلايات ؟ لمـــاذا تقع بنا هذه الأشياء ؟

وما الذى تأمل أن نحصل عليه منها ؟ وفى مساندة ماذا هى كلها ؟ أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟ »

وتقول فوبيا الأم :

« لست أدرى لمــاذا يرسلون هؤلاء الصبيــة الى الخــارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسو الا صبية صغارا » .

ويروى آرشى واقعة شهدها بنفسه عن جماعة من الملونين رآهم فى (الأوتوبيس) فى طريق عودته الى المنزل فيقول :

« كانوا يتحادثون معــا طول الوقت والكل يصغى اليهــم . وبمجرد أن قمت لأضغط على الجرس صاحت امرأة : « لقــد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » ، فظننت لحظة أنها تقصدنى ، ولهذا استدرت ، ولكنى وجدتهــا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها » .

وتعكس جمل الحوار التالية تقدير المواطن الانجليزى لساسة بلاده على اختــلاف مشاربهم ، وهى تجرى بين « بيلى » أكثر شخصيات المسرحية وقارا واتزانا وبين حفيدته چين وهو يحدثها عن سيدات زمانه مقارنا اياهن بنساء العصر :

« بيلى ـــ أما الآن فمن المتعــذر فى أغلب الأوقات تميــيز النساء من الرجال ، خصوصا من الظهر ، بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيدا فى بعض الأحيان .

چين ـــ مثل الحكومة والمعارضة .

بيلى ـــ ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة ؟ لا تكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة الأخــرى . مجموعة دنســة من الأوغاد ، يستحقون السجن » .

ويصدر أوسبورن حكمه على حزب المحافظين (التورى) الذى كان يضطلع بالحكم فى حرب السويس ، وقت أن كتبت المسرحية، فيقول على لسان آرشى الذى كان يقص على الأسرة شيئا عن زميل قديم له فى العمل يدعى « روزى » :

« كان روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ... غير أن أقبح كلمة من أربعة حروف فى الانجليزية أو أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى » (محافظ) وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه على درجة كافية من السوء » .

أما موظفو الدولة فيصفهم بيلى ـ الشيخ المحنك ـ بقوله مخاطبا چين :

« لا فائدة من أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس لديهم المقدرة على فعل شىء لأنفسهم » .

وفى أكثر من موضع يندد أسبورن بفداحة الضرائب التى تجبى من المواطن الانجليزى حتى ليتردد ذكر « محصل ضريبة الدخل » كما تتردد أسماء المردة والشياطين . وها هو آرشى يفاجىء أسرته ذات ليلة بأنه يقيم احتفالا « بمناسبة الذكرى العشرين » . فاذا سألوه أى ذكرى هذه قال : « الذكرى العشرين

لعدم دفعي ضريبة الدخل ... انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة ، وانى لأستحق نوعا من الجائزة عليه » .

ويكشف أوسبورن عما أصبح يعانيه سواد الشعب من الضيق واليأس حين يقول على لسان فوبيا : « ... ان حالة العمل سيئة، هذا هو الواقع . ان الناس ليس معهم نقود ... » ثم يقول على لسان فرانك وهو يخاطب أخته :

« تلفتي حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المريح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا ياچين. لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ أنت لاشيء، فليس عندك مال ومازلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط من المؤكد جـدا أنك ستظلين لا شيء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد أنك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئي فى التفكير فى نفسك ياچين لأنه ليس هنـاك من سيقوم عنك بهذه المهمة ... لأنه لم يبق من يؤمن بهـذه الأمور الآن ... قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضع دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتـك ليقنعوك ، ولكن لا تصدقى فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك ، انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسـط الطريق غير آبهين الى أن يذهبـوا طالمـا أنهـم فى الوسـط الملعون ... أولاد الحرام المتهرئون ... »

ولعل أبلغ عبارات أوسبورن دلالة فى هذا الصدد ما يقوله آرشى :

« ... نحن موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ... نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بها أحد . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شىء يتندر به الناس لأننا أبعد ما نكون عن الحياة العادية للبشر .... لسبب بسيط هو أننا لسنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض ... نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة ... »

* * *

هذه بضعة من نظرات أوسبورن فى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت انجلترا وقت أن كتب مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » . وهى تصور لنا عالمه الذى يعيش فيه عالما فاسدا منحلا يغشيه البغض واليأس . واذا كان المسرح هو الرمز الحى المتحرك لأى شعب من الشعوب فها هو أوسبورن يقدم لنا صورة هذا الرمز مجسدة فى شخصية آرشى كممثل وفى وصفه آرشى لجمهور الناس كمشاهدين :

« ... انظرى الى هذا الوجه . أنظرى اليه . هـذا الوجـه يسـتطيع أن يتفجـر حـرارة وانسانيـة ، يسـتطيع أن يغنى وأن يحـكى أردأ الحـكايات فى العـالم وأبعدهـا عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية ، دون أى اهتمام ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت ، تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى هناك . لا اهتمـام لأنى لا أشعر بشىء ولا هم يشعرون . كلانا ميت كصاحبه .... »

* * *

وبعد فقد رأينا أوسبورن يحمل علم الجديد فى مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » حتى بلغ به حد الثورة فى عالم المسرح المعاصر ، ثم رأينا موهبته تتأرجح بين المد والجزر فى مسرحياته الأخرى . غير أنه مايزال حيا يرزق ويكتب ، ولذا فان الوقت لم يحن بعد لاصدار الحكم الأخير عليه ؟

محمد توفيق مصطفى

الشخصيـــات

بيلى رايس	Billy Rice
جين رايس	Jean Rice
آرشى رايس	Archie Rice
فوبيــا رايس	Phoebe Rice
فرانك رايس	Frank Rice
وليم رايس (الأخ بيل)	William Rice (brother Bill)
جراهــام دود	Graham Dod

الفصل الأول

المكان : تقع الحوادث فى موقع ساحلى فسيح . والبيت الذى تقيم فيه أسرة رايس هو واحد من تلك المبانى العالية الكئيبة التى كان يشيدها ثراة رجال الأعمال فى مطلع القرن ، خمس وعشرون دقيقة فقط بعربة الخيل المفردة حتى مدخله . فى الوقت الحاضر تعج عربات الترولى باص مارة بالطريق الأمامى غاصة بعمال المصانع الصغيرة التى تكاثرت فى أرجاء المكان . هذا جزء من المدينة لا يراه طلاب النزهة أبدا ، أو أنهم اذا رأوه يقررون الرجوع الى حدائق النزهة . انهم يركبون القطار ساعتين أو ثلاثا ليتجنبوه . بل انه ليس من المتعين عليهم أن يمروا به فى طريقهم من المحطة المركزية لأنه مدينة قائمة بنفسها لها محطة خاصة فسيحة جداً ألحقت بها مساحات كبيرة من حظائر البضائع وأحواش التحويل . وقطارات الخطوط الرئيسية لا تقف هناك على أى حال . فهو ليس منطقة سكنية ، ويصعب اعتباره منطقة صناعية . تكثر فيه الأماكن الفضاء القذرة ، والجدران المرتفعة السوداء ، وبه مخزن للغاز ومدخنة طويلة ، وطريق رئيسى يعج بالتراب وسيارات النقل . والحوانيت متناثرة على زوايا الأزقة الضيقة ، محل لبيع الصحف ، وبقالة عمومية ودكان للسمك وشرائح البطاطس .

الافتتـــاح

فى خلال فترة الاستراحة تدلى لافتة اعلان

(١)

فى الخلف ستار خفيف (من الشاش) يبدو وراءه جزء من المدينة . وأمامه منصة مرتفعة تؤدى اليها بضع درجات . طوابق بارتفاع الركبة وهيكل باب تقوم مقام جدار . يستعان على عرض المناظر بالستائر المدلاة . حيث تدلى ستائر مختلفة للمناظر المختلفة لتحـديد مساحات الأداء ، وكذلك ســتائر مرخاة من القماش الأسود أو النسيج السميك . هنالك بابان عن يمين ويسار الستار الخلفى . الاضـــاءة من النـــوع الذى تتـــوقع رؤيتـــه محليـــا . كل شىء يسلط عليـه الضـوء يبـدو واضـــحا محددا ، أو مجرد مساحة ضــوئية متحركة . على أنه يجب أن تضاء المناظر أو الفواصــل التى بينهــا كمجرد نقلات بسيطة . الأثاث والركائز بسيطة كما لو كانت معدة لفاصل قصير . على كل من جانبى المسرح مربع تظهـر فيـه أرقام تتـابع المناظر . المشكلات الموجودة هى أساسا نفس المشكلات التى تواجه أى مدير مسرح مقيم عقب الحفلتين الليليتين صباح كل يوم من أيام الاثنين طوال حياته الفنية .

موسيقى : الأحدث ، الأكثر صـخبا ، الأردأ . ســتار أمامى من (الشاش) مرسوم عليه صور كبيرة لفتيات عاريات بأيديهن

مراوح زاهيــة الألوان وهن يتراقصن فى مرح ، ومكتوب عليه بحروف كبيرة كلمات «الوضع العارى لرقصة الروك آند رول». ومعناها حرفيا رقصة الروك آند رول المجددة . ولكن الكاتب يقصد استغلال كلمة Nude (مجدد) لأنها تلفظ ككلمة New'd (عارى) ...

وراء ستار الشاش الخلفى يكشف الضوء عن رجل كهل يمشى عبر المسرح من اليسار الى اليمين . وعندما يصــل الى منتصفه يقف وينظر الى أعلى . تسمع صيحات وصراخ . ضــجة امرأة تحاول الحيلولة بين رجلين ــ لعلهما ابنها وعشيقها . صــيحات « أوه ، اتركه وشأنه ! لا تفعل هذا ، أرجوك لا تفعل هــذا ، اتركه وشأنه » . يمشى الى اليمين خارجا من المسرح ثم يعــود للظهــور بجانب الستار المتدلى متجهــا نحو الوســط . تسمع أصوات ســقوط وضربات . يقف ثانية ثم يسير . تصرخ المرأة بصوت عال هذه المرة . يقف ثانية ويستدير ثم يصيح مطلا من (الدرابزين) « هــل يضيركم أن تلتزموا الهــدوء تحتنا من فضلكم » . ينصت دون استجابة . « هلا تفضلتم بالكف عن كل هذا الضجيج ! ! » .

يحاول أن يجعل صــوته يبدو مترفعا ، ولكن صــوته قوى فتسكت الضجة لحظة فيومىء برأسه ويبدأ فى التحرك . يصيح

Rock'n Roll New'd Look

صوت « لمـــاذا لا تقفـــل فمك الواســـع الكريه أيهـــا الأحمق المـــأفون » . صـــوت بكاء امرأة يقطـــع آخر الجملة فيتردد الرجل الكهل ثم يستدير وينادى من أعلى الدرج : « هل أنت بخير يا ســـيدة ... ؟ » . يسمع صوت رجل متعجلا متحمسا . باب يصفق ، وتكتم الضجة ، ويظل البكاء مسموعا ولكن يبدو أن السيطرة على الموقف قد ازدادت . يعود الكهل الى الوسط ويدخل من هيكل البابه .

بيلى رايس رجـــل أنيق فى السبعينات ، شـــديد الاعجاب بجسده نتيجة الاعجاب الذى لقيه طول عمره باعتباره « رجـــلا مليح القوام » . فهو رشـــيق مستقيم العـــود ، رياضى . يلتمع بمظاهر العيش الرخى . شعره ، وقد وخطه الشيب ، كثيف ناعم بسبب ترجيله الشديد يوميا ، ولعل ملابسه عمرها ربع قرن ـــ بما فيهـــا الحذاء الرســـمى المدبب ـــ ولكنها أنيقة مكوية بعناية . سلسلة ساعته تلمع . ياقته مثبتة بدبوس تحت الرباط الأســـود المحكم العقد . وقبعته السمراء مثبتة على زاوية طفيفة جـــدا . يتكلم بلهجة مترفعة « ادواردية » ـــ خليط من لهجة اكسفورد والعامية ينطق فيها حرف السين بقوة ولكنها مع هذا بعيدة عن أن تبدو تماما كلهجة الطبقة العليـــا أو كاللهجات القديمة . فهى فى الواقع ليست لهجـــة طبقة بل لهجـــة عصر ، مما لا يسمعه الانسان كثيرا فى هذه الأيام .

يرفع الستار الخفيف الأمامى .

يسير الى الوسط فيضع جريدة مطبقة وزجاجتى بيرة وبرقية يلقى عليها نظرة عاجلة . يسير الى الباب الأيمن فى مقدمة المسرح ويدخل منه وهو يغنى بصوت أجش ولكنه مرح :

« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم
دعينى أخبىء نفسى فيك »

يعود للظهور بقميصه وهو آخذ فى ارتداء ازار من الصوف فوق صدريته . يجلس وهو ما يزال يغنى ويصب لنفسه قدحا من البيرة ويبدأ بفك رباط حذائه ثم يضعه فى صندوق محشو بالورق فى مؤخرة المسرح فى الوسط . تسمع الضجة مرة أخرى أسفل الدرج . يشرب من قدح البيرة ثم يتناول مبرد أظافر ويقف منظفا أظافره بخبرة ، كما لو كان ينفض ذرة موهومة من التراب . صرخة من أسفل الدرج . يتكلم بيلى باهتمام وتدبر .

بيلى : بولنديون وايرلنديون مجرمون !!
يجلس ويلبس (شبشبه) ـ (دق على الباب الأمامى ، يتناول نظارته من علبته ويلبسها) .
انى أكرههم أولاد الحرام .

يفتح جريدته . جرس الباب ما زال يدق . تبدو عليه المضايقة ولكنه قد رفع

قدميــه مؤثرا الراحــة على الحركة .
يغنى بمرح وكأنمــا يريد أن يغطى على
رنين جرس الباب) .

بيـلى : أنا قريب منك يا الهى
قريب منك
(يصغى ثم يتابع الغنـاء) .
حتى لو كان صليباً
ذلك الذى يرفعنى

(يتناول الصحيفة وينظر فيها باهتمام) .

فان كل ترانيمى ستكون
أنا قريب منك يا الهى
قريب منك .

(يضع الصحيفة) .
ـ (واقفا) لمــاذا لا يفتحون الباب اللعين .

(يعتمد بذراعيــه على الكرسى مفكرا
فيما اذا كان عليه أن يذهب آخر الأمر) .

ـ يجب أن يسجن بعض هؤلاء الناس .

(يبدو ان ليس عليه أن يذهب آخر الامر
فيعود للجلوس فى مرح) .

(يتناول الصحيفة ، ثم يلقيها فجأة) .
ـ مخلوقات قذرة متعفنة .

ـــ يا الهى ، أشعر بتيار هواء .

(يقوم فيذهب الى الباب وينظر للخارج) .

ـــ أراهن أنهم تركوا الباب الخارجى مفتوحا .
فلاحون .. هكذا هم .

(يتناول « بطانيـــة » ويسويها أسفل البــاب) .

ـــ يظهر أنهم ولدوا فى الغيطان ... حيوانات
(يعود الى الكرسى ويجلس) .
كالحيوانات ... كالحيوانات المتوحشة .

(يستقر فى جلسته . تدخل من البــاب الخلفي الأيسر فتــاة شابة . بيلى يصب لنفسه بعض البيرة . الفتاة تقرع الباب . فيصغى) .

ـــ من هــذا ؟

(تقرع الفتاة البــاب ثانية) .

ـــ من هذا ؟ أنا لاأستطيع أن أجد أى هدوء فى هذا البيت اللعين .

الفتـــاة : أهذا أنت ياجدى ؟

بيــلى : ماذا ؟

الفتـــاة : أنا چـــين .

بيــلى : (وهو ينهض) من هذا ؟

جــين : أنا ... جين .

بيــلى : (يذهب الى البــاب ويقف خلفه) لا أستطيع حتى قراءة الصحيفة فى هدوء . من ؟

جــين : أنا حفيدتك .

(تحاول جين دفع الباب ولكن البطانية تمنع فتحه) .

بيــلى : دقيقة واحدة !! دقيقة واحدة !! شذى عنــان جوادك .. (ينحنى) .

جــين : متأســفة .

بيــلى : شذى عنان

(يرفع البطانية ويفتح الباب فينفرج عن جين رابس وهى فى حوالى الثانية والعشرين سمراء ذات أسنان بارزة قليلا ، ضعيفة النظر من النوع الذى يسميه معظم الناس عاديا ولكن روح الفكاهة والرقة قــد بدأت تثبت طابعها حول أنفها وعينيها . أما فمها فواسع دافىء) .

جــين : هالو جدى .

بيــلى : لقد عجبت من يكون الطارق بحق الجحيم .

جـــين : أنا آســـفة .

بيـــلى : ظننت أنه واحد من هؤلاء الشــاس المجانين . لا بأس ، ادخلى ان كنت داخلة ، ان الوقوف تجاه الباب يعرضنا للتيار ، لم أجلس الا منذ لحظة .

جـــين : (داخلة) هل أزعجتك ؟ أنا آســـفة .

بيـــلى : لم أجلس الا منذ لحظة لاقرأ صحيفة المساء . ان هذا المكان زريبة قذرة .

جـــين : حسنا . كيف حالك ؟

بيـــلى : زريبة قذرة . انهم يستحقون السجن . وأنت تعرفين الحال الآن ، الا تعرفين ؟ ألا تعرفين من عندها فوق فى حجرة ميك القديمة ، ألاتعرفين؟ شخص أسود . هذا حق . أقول لك لقد أتيت الى مستشفى مجانين هذه المرة .

جـــين : انك تبدو على أحسن حال . كيف صحتك ؟

بيـــلى : اننى على ما يرام . لابد أن تتوقعى قليـــلا من الأوجاع والآلام عند ما تصلين الى سنى . لقد ذهبت فوبيا الى السينما على ما أظن ، لم تقل لى انك قادمة .

جسين : انى لم أخبرها .

بيسلى : نعم ، انها لم تقل أى شىء . ولذا لم أكن أتوقع طرق الباب .

جسين : لم أقرر الحضور الا هذا الصباح فقط .

بيسلى : منذ لحظة فقط جلست لأقرأ صحيفة المساء ..

جسين : أنا آسفة ... لقد أزعجتك .

(وقد أحسنت فهم الموقف ، فقد وضح ان امسيته قد أزعجت . يزول عنه مظهر المضايقة فيبتسم قليلا . وهو مسرور لرؤيتها على اى حال) .

بيسلى : لا بأس . أعطى جدك قبلة ، هيا .

(تفعل ذلك) .

جسين : انه لحسن أن أراك .

بيسلى : انه لجميل ان أراك يا حبيبتى . انها لمفاجأة الى حد ما . هيا تخففى .

(جين تخلع معطفها وترمى علبة من السجاير على المنضدة) .

جسين : أحضرت هذه لك .

بيسلى : لن تتأخر فويبا طويلا . ما الذى خرجت من أجله ، لا أدرى .

جـين : ذهبت الى السينما ، أليس كذلك ؟

بيـلى : انها مجنونة . أوه ، هذا لطيف جـدا منك ـ لطيف جـدا . أشكرك . نعم لقد قالت انهـا ستبكر فى الذهـاب . لست أدرى لمـاذا لا تستطيع البقاء فى البيت .

جـين : أوه انك تعلم ... لقد كانت هكذا على الدوام ـ ان هذا يسرها .

بيـلى : أوه ، سيكون عليها أن تتعلم . انها لم تعـد صغيرة بعد . عندما تصل الى سنى لن تفعل هـذا .

(يفتح علبة السجاير ويخرج مبسما من العـاج من صدريته) .

أوه ، هذا جميل منك . أشكرك . ومع هـذا فلو بقيت فى البيت فانهـا لا تكون الا عنصر مضايقة ، وأنا لا أطيق المشاجرات . لم أعـد أطيقها .

(يحدق أمامه) لا فائدة ترجى من مناقشـة فوبيا على أى حال . أتأخذين شيئا من البيرة ؟

(تهز رأسـها) .

انها لا تريد أن تصغى اليك وكفى . أواثقة من أنك لا تريدين . هناك سلة كبيرة فى المطبخ ، أحضرها فراتك هذا الصباح .

جـــين : لا ، شكرا يا جدى .

بيــلى : لا ... عندما تعتريها هذه الحالة لا أفعل شيئا سوى أن أخرج .

جـــين : والى أين تذهب ؟

بيــلى : أتمشى أو أذهب الى النادى . انك لم تذهبى الى النادى . أوه ، اذن فلابد من أن آخذك . انه فى منتهى الهدوء ، ليكن فى علمك ، فيما عدا أيام العطلة الأسبوعيـــة حيث تأتى بعض الزوجات ، ولكن أغلبهن من الزمن القديم مثلى .

جـــين : يبدو أنه شيء سار .

بيــلى : نعم انه مكان ما يمكن الذهاب اليـــه عندما يضيق صدرك بالبيت . لا تظنى انه يتفق كثيرا مع ذوق الشـــباب من أمثالك . وأحسب أنك تفضلين الذهاب الى تلك المحلات التى تعزف فيها موسيقى الجاز .

جين : انى أحب أن أذهب الى النادى . لابد أن تأخذنى .

بيلى : أحقا تريدين ؟ تريدين ؟ وهو كذلك . ولكن أنبهك ، لن تجدى هناك شيئا من موسيقاكم الحمقاء . كم ستبقين هنا ؟

جين : عطلة آخر الأسبوع فقط .

بيلى : سنذهب مساء غد . انها ليلة طيبة ... يوم الأحد ... أغنى لهم بعض الأغنيات القديمة أحيانا عندما أحس بالميل الى ذلك . لم أفعل ذلك مؤخرا ، ومنذ فترة طويلة . يبدو انى لا أحس ميلا الى ذلك .

جين : أين أبى ؟

بيلى : فى المسرح . انه يمثل هنا ... على مسرح الجراند . هذا الأسبوع كما تعلمين .

جين : أوه ، نعم ، طبعا .

بيلى : يبدو اننى لا أحس ميلا الى ذلك هذه الأيام .. انك تحسين ببعض الضيق أحيانا من الجلوس هنا . واذ ذاك هناك محل كامبردج فى نهاية

الشارع ، أذهب اليــه بالطبع ولكن النــاس أصبحوا غير النــاس ، كما تعلمين . ماذا عن الأخبار : ـــ آه ـــ ؟ انها تثير الضيق . ما رأيك فى كل هذه الضجة القائمة فى الشرق الأوسط ؟ يبدو أن الناس يستطيعون أن يفعلوا بنــا ما يشاؤون . ما يشاؤون تماما . انى لا أفهم هذا . الحق انى لا أفهمه . ارشى يذهب الى هـــذا المحل اللعين بجوار ساعة البرج .

جــين : الروكليف .

بيــلى : نعم الروكليف . كل ولد مشاكس مغــامر فى هـــذا الحى يذهب الى ذلك المحــل فى عطلة آخر الأسبوع . حاول آرشى أن يأخذنى الى هناك ذات يوم . لا ، شكرا . انه ليس الا سوقا للتحم العارى .

جــين : وكيف حال أبى ؟

بيــلى : انه أحمق .

جــين : أوه ؟

بيــلى : يصرف المــال على فرقة متجولة .

جــين : لم أعلم بهذا .

بيسلى : أوه ، انها واحدة أخرى من أفكاره الحمقاء . لقد رفض أن يصغى الى . انه يضيع نصف وقته فى ذلك الروكليف .

جين : نعم نعم . وأى نوع من البرامج هذه المرة ؟

بيسلى : أوه ، انى لا أتذكر اسمه .

جين : هل رأيته ؟

بيسلى : لا ، لم أره . ولن أراه . هؤلاء العاريات . انهم يقتلون المهنـــة . على أى حال .. أنا أقول له دائما ... انها ماتت بالفعل . ماتت منذ سنين . لقد كانت منتهية ميتة عند ما تركتها لقد تنبأت بذلك ، فهجرتها . انهم لم يعودوا يريدون أناسا جادين .

جين : لا ، انهم لا يريدون على ما أظن .

بيسلى : انهم لا يريدون بشرا . لم يعودوا يريدون ، كنت أتمنى ألا ينغرز فى هذا الروكليف . انه يحصل على نصف فتياته العاريات من هناك . (متحمسا) انى لأعجب لمــاذا يأخذ رب أسرة زوجتــه وأولاده ليروا بضعة من بغايا الدرجة الثالثــة

وهن واقفات عرايا ؟ لقــد عدمن حتى القوام
هذه الأيام . كلهن جلد على عظم .

جـــين : (تبتسم) مثلى .

بيــلى : كلا . انك لا تقفين وسط الناس وأنت متجردة من كل شيء ليحملق فيك كل انسان ويباركك الله من أجل ذلك . بل انك لا ترين أبدا امرأة ذات قوام جميل حقا هذه الأيام . لا ، أستطيع أن أذكر لك الآن شيئا عن النساء الجميلات ، نعم أستطيع . ولم يكن جمالهن كله مصطنعــا بمساحيق الزينــة . لقد كن سيدات . سيدات تخلعين قبعتك احتراما قبــل أن تجرؤ على مخاطبتهن . أما الآن فمن المتعذر فى أغلب الأوقات تمييز النساء من الرجال . خصوصا من الظهر . بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيــدا فى بعض الأحيان .

جـــين : مثل الحكومة والمعارضة .

بيــلى : ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة . لاتكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة . مجموعة دنسة من الأوغاد ، يستحقون السجن . لا ،

ان آرشي لأحمق ، انك لا تظفرين منــه حتى بالاصغاء . ولهذا تماشيت مع فوبيا . لقد كان عليها أن تجارى الأمور ، بوسعى أن أقول لك هذا . ولكن ليس على أن أقوله لك . أخشى أنه سيسقط بل فى أقرب وقت . لقــد قضم أكثر مما يستطيع أن يمضغ .

جـــين : تعنى فى هذه الفرقة الجديدة . هل صرف عليها بعض المــال حقا ؟

بيــلى : صرف عليهـــا بعض المــال !! لا تثيرى فى الضـــحك . انه مفلس . كله بالاســـتدانة . بالاســـتدانة من فضلك . انه ليدهشنى كيف يحصل على المــال بعد هذه العملية الأخيرة . ومع هذا فانه يستطيع أن يتكلم على الدوام ، أبوك هذا . وهذا كل ما فى الأمر . أتعلمين اننى أنفقت آلاف الجنيهات فى سبيل تعليمه . ألحقته بنفس المدرسة التى كنت فيها . وأخوه.

آلاف الجنيهــات لم يكن من أولئك الذين أحرزوا منحة دراسية مثلك . وأين أوصــلهم هذا ؟ (يتناول جرعة) هذا الروكليفه . يجب أن يغلقوا هذا المحل . يجب أن يكتب أحدهم

الى مجلس المدينة عنه . يدهشني أن أحدا لم يفعل هذا . يوجد هنا كثير من السادة كما تعلمين . بجانب الأوشاب الذين هنا . أناس من المتقاعدين . انهم لا يريدون استمرار مثل هذا الشيء . هل أنت بخير ؟ ان منظرك يوحى بأنك سهرت ليالى طوالا أو شيئا كهذا . ماذا كنت تفعلين بنفسك ؟ كثير من تلك الحفلات ، آه ؟

جين : لا ، ليس كذلك فى الواقع .

بيلى : على أى حال يجب أن تستمتعى بوقت طيب فترة شبابك . فأنت لا تستطيعين ذلك فيما بعد . أراهن أنه لن يعود حتى آخر هذا الليل .

جين : أبى ؟

بيلى : انى مسرور جدا برؤيتك ياجين . هل أنت بخير؟ هل تلقين منهم معاملة طيبة ؟

جين : أوه ، نعم .

بيلى : أرجو أن يكونوا راضين عنك . ليست لديك أية متاعب

جين : لا يا جدى ، ليست لدى أى متاعب .

بيــلى : كل ما فى الأمر أننى مستغرب مجيئك لرؤيتنـا فجأة هكذا .

جـيـن : أوه ، انه مجرد ...

بيــلى : أنا لا أطلب منك أن تخبرينى . لكِ أن تفعلى ما تشائين يا حبيبتى . أشك فى أنك جائعـة ، أليس كذلك ؟

جـيـن : لقد أكلت فى القطار .

بيــلى : ما كان ينبغى لك أن تفعلى هذا . انه اسراف ، وكل ما يقدمونه لك شيء من النفـايات . انك لست مسرفة ، أليس كذلك؟

جـيـن : لا أظن هذا .

بيــلى : لا ، لم أظن هذا . انك فتاة طيبة ياجين . انك ستشقين طريقك . أنا أعـرف أنك ستشقين طريقك . انك لست كهذه المجموعة التى فى هذا البيت . ستفعلين شيئاً ما لنفسك . انك تقتدين بجدك العجوز .

(تبتسم له باعزاز) .

أليس كذلك ؟ جين ، اذا صادفك أى نوع من

المتاعب فانك ستجيئين الى فى الحال ، أليس كذلك ؟

جسين : سأفعل هذا .

بيلى : انى أعنى ما أقول . والآن انظرى ... لا يوجد هنا غيرنا نحن الاثنين . عدينى بأنك ستحضرين وتخبريني .

جسين : بالطبع سأفعل هذا . ولكن لاشيء هناك ...

بيلى : اننى لا أهذر ، بل أنا جاد . ستعود فوبيا فى أى لحظة ، وأنا لاأريدها أن تعرف . أريد أن تعدينى .

جسين : أعدك . اذا طرأ أى شيء ....

بيلى : اذا كان الأمر أمر نقود ، فاعلمى ...

جسين : أقول لك انى ...

بيلى : عندى بضعة جنيهات فى صندوق توفير البريد، ليكن فى علمك أنها ليست كثيرة ، ولكن عندى بضعة جنيهات . ما من أحد يعرف هذا ، ولذا فلا كلمة ، احذرى .

جسين : وهو كذلك .

بيسلى : حتى ولا سكان البنسيون ، فأنا لا أطلعهم على أحوالى . ولكن كما قلت ...

جسين : جدى ، انى أعدك . اذا احتجت الى أى شىء ...

بيسلى : لعلهم لا يدفعون لك الكثير فى عملك ، أليس كذلك ؟ أخبريهم ماذا تستحقين ، انهم لصوص .

جسين : انهم يدفعون الكفاية .

بيسلى : كم كانت نفقات سفرك الى هنا ؟

(يبدو أنه قد شطح قليلا) .

جسين : لا يا جدى أرجوك ... أنا لا أريدها .

بيسلى : كفى عن هذا الجدل اللعين . ما دمت أريد أن أعطيها لك فستأخذينها . انتظرى دقيقة واحدة ...

جسين : أرجوك ...

بيسلى : ما هى المسألة ؟ أهى دون الكفاية ؟

جسين : ليست هذه هى المسألة ...

بيسلى : ماذا اذن . افعلى ما يقال لك وخذيها . أنا ما كنت لأجرؤ على مجادلة جدى ، حتى وأنا فى

مثل سنك (يعد نقوده) أوه ... حسنا ، يبدو أنه ليس معى ما يكفى الآن . كم عددها ؟

جين : لا أذكر .

بيلى : بل تتذكرين بالطبع . انظرى ، هاك قليلا من النقود ، خذيه الآن خصما منها ، وفى يوم الاثنين سأذهب الى مكتب البريد وأسحبها لك.

جين : يا حبيبى ، انك ستحتاج هذا اليوم عطلة الأسبوع ، هناك السجاير والصحف ، فضلا عن أنك ستأخذنى الى النادى . ألا تذكر ؟

بيلى : أوه نعم ، لقد نسيت هذا . اذن فلنعتبره قرضا، هل توافقين ؟

جين : قرض ؟

بيلى : نعم قرض . أنت تعرفين ما هو القرض .

جين : أوه ، وهو كذلك .

بيلى : يجب ألا تشعرى بالاحتياج . كلنا محتاجون للرعاية ، وعليك أن ترعى أهلك الأقربين . فلا فائدة فى أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس

لديهم المقدرة على فعــل شيء لأنفسهم . أنا أريد أن أبسط رعايتي عليك ياچين . أريد ... أريد حقا . فأنت فتــاة طيبــة وأنا أعلم أنك ستصنعين شيئا من حياتك ، ستكونين انسانا مرموقا ، لن تضيعى حيــاتك عبثــا وتكونى حمقاء .

جـسين : بارك الله فيك .

بيـسلى : لا تضيعيها عبثا ، اصنعى منهــا شـيئا طيبا . لا تضيعيهــا . اجلسى بالله . ان منظرك يوحى بأنك موشكة على أن تأخذى قبعتك ومعطفك وتنصرف . اجلسى وتحدثى الى جدك . قليلا ما أجد الفرصة للتحدث مع أحد . انهم يظنون بك بعض الخبــل لمجرد أنك تستطيعين تذكر الأشياء عندما كانت تختلف قليلا عما هى عليه . هيا ، خذى كأسا .

جـسين : أشــكرك .

بيـسلى : خذى مثلا فتاة البار التى فى الكامبردج . أنا لاأذهب الى هناك كثيرا . لقدرأيتها تضحك وتخفى ضحكها ، وهى تحسبنى لم أرها ، ولكنى لست مخبولا ، كما أنها قطعة من البضاعة العادية .

ثديان كبيران يبرزان من هنـــا ، كما لو كان المقصود أن تريهما عند ما تميلين نحو كأسك ، الأمر الذى يكفى لأن يمحـــو أثر البـــيرة من رأسك . ثم انها تنتقص مقدار الكـــأس . ان عليك أن تراقبيهم ، فهم يظنون أنهم يستطيعون اللعب عليك .

جـــين : متى تنتهى الحفلة الثانية ؟

بيـــلى : لا أعلم . حوالى الحادية عشرة على ما أظن . ستسهرين الليل بطوله اذا انتظرته . ما كانوا ليستخدموا واحدة من هـــذا النوع فى الأيام المـــاضية ، واحدة كالبغى الرخيصة .

جـــين : لعل يجب أن أذهب لمقابلته .

بيـــلى : افعلى ما شئت يا ابنتى . أما أنا فلا ، لقـــد وضعوا جهاز تليفزيون فى ذلك البـــار الآن . تليفزيون . من تظنه يريد جهـــاز تليفزيون فى حانة ، لا يكاد صوته يدوى حتى تعجزى عن سماع أفكارك . هل تعلمين ؟ هل تعلمين انى طلبت منهم أن يقفلوه ذات ليلة . هذه البقرة ذات الثديين ، من المتوقع أن تكون وقحـــة ، ولكننى وقتئذ طابت من صاحب المحل ، تشارلى

روز . انه صديقى . أعرفه منذ سنوات . ومع هـذا أتعلمين انه رفض أن يستجيب لطلبى . لست أدرى ما الذى جرى لكل الناس . لست أدرى . هل تعلمين ؟

جـين : (غير مصغية) لا ياجدى ، لست أعلم .

بيـلى : ان هذا لما يحزن ... أحيـانا . تشارلى روز العجوز دون سائر الناس . منذ ذلك الحين لم أستطع دخول ذلك المكان . لقد أحضرت هذه البـيرة فى غير فترة الترخيص وأنا فى طريقى (ينظر اليها بخبث) أظن أنه لا يحق لك أن تتوقعى من النـاس أن يصغوا اليك ما دمت تتحدثين عن حياتك التى ولت وانقضت ، لقد انتهى الأمر بالنسبة اليك فلماذا يتعين على أى انسان أن يصغى اليك ؟ (سكتة) هل شربت شـيئا ؟

جـين : نعم .

بيـلى : أعرف المرأة دائما عندما تكون شاربة .

جـين : أنا آسـفة .

بيـلى : لا بأس يابنيتى . انى لأظنك تعلمين ماتصنعين ،

يجب أن أرفع قدميك وأغمض عينيك ، وستشعرين بتحسن بعد دقيقة .

جين : لقد شربت أربع كاسات من الجن . أربع كاسات كبيرة من الجن . سأكون على ما يرام . ماحال العمل ؟

بيلى : فى المسرح ؟ لا علم عندى . ولا أسأل . ولكنى أراهن أن فى صالون بار كمبردج من الناس أكثر مما عنده هناك . أنا أعرف بماذا تحسين أيتها الفتاة . عليك أن تسترخى .

جين : أنا أحب الاستماع اليك . وهكذا كنت دائما .

بيلى : نعم ، لقد كنت تحبين دائما أن تأتى لرؤيتى ، أليس كذلك ؟ وكنت تستمتعين فى صحبتى عندما كنت صبية . كنت شيئا جميلا صغيرا ؛ بغدائرك السود وملابسك الصغيرة . (بسرعة) ليس معنى هذا أن المنظر هو كل شيء ، حتى بالنسبة للمرأة . لا تصدقى هذا ، انك لاتنظرين الى زينة رف المدفأة وأنت تقلبين النار .

(جين تجلس وتتكىء الى الوراء) .

لا ، سأقول هذا لآرشى ... لقد حرص دائما

على العنـــاية بجـــال مظهرك ، وكنت تلوحين كالصورة الصغيرة على الدوام ، بل أقول انه أنفق الكثير . لقد كان صبيا أنيقا هو نفسه . كنت ألبسهم ملابس البحارة اذ ذاك . لقد كان صبيا جميلا . عجيب كيف يتبدلون جميعـــا . (سكتة ثم برقة واخلاص) انى لأشعر بالحزن من أجلكم أيها الناس . فأنتم لا تعرفون حقيقة الحياة . انكم لم تعيشوا معظمكم ، ولم تعرفوا أبدا ما هى الحياة ، الحق أنكم تعساء جميعا ، لا تعرفون كيف يمكن أن تكون الحياة .

(الأضواء تتلاشى ـــ ينزل ستار خلفى معلق) .

(٢)

ستار امامى ـــ المسرح مظلم ـــ الضوء الكاشف مسلط على الزاوية المناســبة . تعزف الموسيقى ـــ يدخل آرشى رايس .

آرشى : مساء الخير سيداتى وســادتى . اسمى آرشى رايس . حبيب مسز رايس . ســوف نقــوم بتسليتكم خــلال فترة الســاعتين والنصــف القادمة ، ولقد بدأتم فى هــذا بالفعل . فقــد

أغلقت كل أبواب الخروج . وبمناسبة الكلام عن اغلاق أبواب الخروج فان بعض النـــاس يجب أن تقفـــل عليهم أبواب السجون . أن يسجنوا . هـــذا صحيح بشرفى . سأعطيكم حالة من هذا النوع . حالة من هـــذا النوع . زوجتى ... زوجتى . تشارلى العجوز يعرفها . أليس كذلك يا تشـــارلى ؟ تشـــارلى العجوز يعرفها . انها عملية حقيقية لأى مقاول لاصلاح الطرق ، أليس كذلك يا تشارلى ؟ لا بأس . لقد أخذت حفارته منه الآن . أخذتها . أليس كذلك يا تشـــارلى . انه الرجـــل السوبرانو الوحيد فى اتحاد الموسيقيين . أنا أعرف ماذا تنتظرون . أنا اعرف ماتنتظرون ومن ذا الذى لا يعرف . وانما عليكم أن ترفعوا فؤوسكم ... فسوف تهوى فى ظرف دقيقة . عليكم أن تنتهوا منى أولا . والآن ... الآن ...

لكى نفتتح العرض سأغنى أغنية صغيرة كتبتها بنفسى أرجو أن تعجبكم .

لـــماذا أحمـــل الهم ؟
لـــماذا أتركه يســـنى
لـــماذا لا أجلس وأحاول

أن أجعله يمر من فوقى ؟
لمــاذا أتركه يرهقنى ؟
لمــاذا يشخصون الى بأبصارهم ،
ما فائدة اليأس ،
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انك اذن ميت منذ زمن طويل
مثل صديقى فريد .
واذن فلماذا ، أوه لماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يرقص رقصه المعتــاد) .

لمــاذا أحمل الهم ؟
لمــاذا أتركه يمســنى
لمــاذا لا أجلس وأحاول
أن أجعله يمر من فوقى
لمــاذا يشخصون الى بأبصارهم
لمــاذا أتركه يصرعــنى ؟
ما فائدة اليأس
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انهم لو رأوك محزونا لسخروا منك
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم
(الحمد لله أنا شخص طبيعى)
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يخرج) .

(تتلاشى الموسيقى . يرتفع الستار الخلفى عن بيلى وجين وفوبيا . فوبيا فى حوالى الستين ذاتشعر أشقر كان جذابا فى زمانه وما زالت تبذل له عناية كبيرة . وجهها معالج بالأصباغ ولكن فى غير حذق . لا تستقر أبدا ولا تصغى أبدا — شأنها شأن معظم أفراد هـذا البيت . أما اذا اضطرت للجلوس والاصغاء لأى انسان فانها عادة تصير شاردة اللب متضايقة ، جالسة على حافة كرسيها ، تتلوى أصابعها حول شعرها . والآن نراها محمرة الوجه كطفل متأهب للانفعال) .

فوبيا : أوه ، لكم سيكون سعيدا برؤيتك . (لبيلى) أليس كذلك ؟ ولكن لماذا لم تخبرينا حتى أعد لك شيئا أواثقة أنت من أنك لاتحتاجين لشىء عندى قطعة من لحم الخنزير ... اشتريتها هـذا الصباح . ألا تحبين شيئا منها ؟

جين : لا . شكرا ياعزيزتى . لقد قلت لك اننى جئت عفو الساعة .

فوبيا : صحيح . . . قلت لى هـذا . وكذلك ذكرت فى خطابك شيئا عن سفر فى عطلة

الأسبوع . هل وقع ما لم يكن فى الحسبان ؟

جسين : غيرت رأيى .

فوبيا : أوه ، حسنا . انه لجميل أن نراك . أليس كذلك يا بابا ؟ انه مسرور . قلما يجد من يحادثه . أليس كذلك ؟ أقول أنك قلما تجد أى فرصة للحديث . انه ينفرد هنا أغلب الوقت. وليس هذا ذنبى . انه لا يجب أن يصحبنى الى السينما . ولكن ينبغى للانسان أن يذهب الى مكان ما ، هكذا ما أقوله له . فالانسان يتصلب ضيقا بالجلوس فى البيت . انه يحب أن يسمع تمثيلية من الراديو فى بعض الأحيان . قد تحبين التمثيلية الجيدة ، ولكنى لا أستطيع الجلوس طويلا بل أفضل شيئا من السينما .

بيسلى : أنا لا أشكو شيئا .

فوبيا : على أى حال فالسينما نوع من الجلوس أيضا ولكن الأمر يختلف ، أليس كذلك ؟ فلنفتح هذه (تشير الى الزجاجة التى على المنضدة) ما كان ينبغى أن تشترى الجن . انها شقية .

أليس كذلك ؟

بيلى : كان يجب أن تكون أكثر تعقلا ... انها تبذر نقودها .

فوبيا : لا بأس ... انها كبيرة القلب ، هذا هو الشيء الأهم . ناوليني قدحين ، ستأخذين واحدا معي، أليس كذلك ؟ أنا لا أريد أن أشرب وحدى .

جين : وهو كذلك . قدح صغير .

فوبيا : أوه ، آسفة يا بابا ، أتريد كأسا ؟

بيلى : لا ، أشكرك .

فوبيا : أوه ، انه لذيذ . يا للخجل ... كان المفروض أن أعود الى البيت قبل الآن ولكنى بقيت لأرى جزءا من الفيلم الكبير مرة أخرى .

بيلى : أنا أعقل من أن أبالغ فى هذا

جين : كيف كان الفيلم ؟

فوبيا : الفيلم ؟ أوه ، لم يكن كبير الأهمية . ولكن كان فيه الشخص اللطيف ، ما اسمه ؟ أوه ، انه يغنى أحيانا ، ذو عينين غائرتين سوداوين . لعلك تعرفين من الذى أقصده .

جــين : هل هو أمريكى أم بريطانى ؟

فوبيــا : أوه ، لست أدرى . أمريكى على ما أظن .

جــين : ما اسم الفيلم ؟

فوبيــا : (تضحك) ويحى . ينبغى أن تكونى أعقل من أن تسأليني هــذا السؤال . أنت تعرفين مبلغ ضــعف ذاكرتى . هيــا . فى صحتك (تشرب أوووه ، انهــا لرشفة لذيذة من الجن .... بعض الخمر التى يقدمونهــا لك الآن ... لهــا طعم العطور الرخيصة . يجب أن تسمعيه وهو يتكلم عن البيرة . لا . انهم يعرضون كثيرا من الأفلام التافهــة فى دور السينما هــذه الأيام . لم أر فيلما واحدا جيدا منذ أجيال . يظهر أن لا شىء فيها سوى العصابات أو الغناء ، اما هذا واما أفلام رعاة البقر . انه لا يهتم بهاكثيرا ، ولكننى لا أستطيع أن أحتمل هــذا السيل من اطلاق الرصاص ، انه يسبب لى الصداع ، ومع هذا فانى شنيعة ... اذا لم أجد شيئا آخر معروضا فانى أذهب كالعادة ، أليس كذلك ؟ حتى ولو الى الدار التى يعشش فيهــا البق التى عــلى الناصية ، حيث اشــترى لنفسى حلوى بستة

بنسات وأقضى ساعتين بصرف النظر عما هـو معروض . وعلى فكرة ، سمعت انهم سيغلقون هذا المحل . لقد ساءت الأحوال كلهـا ، هـذا ما أقوله لآرشي . بالطبع انه قلق لأن حالة العمل سيئة . وهذا هو الواقع . ان الناس ليس لديهم نقود ، أليس كذلك ؟ أنا فى محـل وولويرث الآن ، هل أخبرتك . أعمـل فى قسم الأدوات الكهربية . لا بأس بالعمل . كل ما فى الأمـر أن البنات عاديات بعض الشيء . أوه انه لجميل أن أراك . سيكون آرشي مسرورا جدا . انها ممتقعة اللون ، ألا تظن هذا ؟ أترى انها تبدو ممتقعة قليلا ؟

بيـلى : انها تبدو على ما يرام .

فوييـا : لا أظن أنها تتغذى كما ينبغى . أنت تعلم شأن هؤلاء الشابات . انهن شـديدات الاهتمـام بقوامهن . اذن فأنت لم تسافرى لقضـاء عطلة الأسبوع آخر الأمر ؟

جـين : لا .

فوييـا : جراهام بخير ، أليس كذلك ؟

جـــين : نعم أنه بخير .

فوبيــا : لم يحدث ما يعكر الصفو ... هل حدث ؟

بيسلى : لمـــاذا لا تعنين بشئونك اللعينة ؟ انها ستقول لك لو أرادت .

فوبيــا : هو ذاك ، أنا أعلم هذا . لن يضيرها أن تخبرنى لو أن هناك شيئا ، أليس كذلك ؟

جـين : وقع خلاف بسيط ، لا شىء أكثر من هــذا . هذا كل ما فى الأمر .

فوبيــا : حقا انها ليست ابنتى ، غير أننى عاونت قليلا فى تربيتها ، أليس كذلك ؟ انها ابنة آرشى . وقد يبدوغريبابعض الشىء أنلا أهتم بكونها سعيدة أو لا . أوه ، على كل حال ياعزيزتى لاتهتمى أبداء سوف تصلحين الأمر حالا . ان الرجال مخلوقات عجيبة . لست فى حاجة لأن تهتمى بهم أبدا .

جـين : (مبتسمة) أتمنى ذلك . هذاحق. خذى كأسا آخر.

فوبيا : سوف تشعرين بالتحسن حالا. ماالذى تشاجرتما بسببه ؟ أراهن على أنه شىء سخيف. هل فسختما الخطبة ؟

جـــين : لست أدرى . يجوز .

فوبيـــا : أوه يا عزيزتى . انى لآسفة .

جـــين : لقد ذهبتُ الى رالى فى ميـــدان ترافلجار يوم الأحد المـــاضى .

بيـــلى : ماذا فعلتِ ؟ !

جـــين : ذهبتُ الى رالى فى ميدان ترافلجار .

بيـــلى : لمـــاذا بالله ؟

جـــين : لأننى ، يا جدى ، بطريقـــة ما ــ ومع كثيرين غيرى ، مع ماقد يبدو فى هذا من غرابة ــ أردت أن آخذ لنفسى فكرة عن الطريقة التى تجرى بها الأمور .

بيـــلى : فذهبتِ الى ميدان ترافلجار ؟ !

فوبيـــا : لقد قالت هذا ، أليس كذلك ؟

بيـــلى : اذن فأظن أن رأسك اللعين فى حاجة الى فحص ؟

جـــين : كان هـــذا بالتقريب رأى جراهام . وكل ما فى

الأمر أنه يصغرك بنحو خمسين سنة فعبر عن رأيه بطريقة مختلفة بعض الشيء . والواقع أن المسألة كلها بدأت حول شيء ما أردت أن أفعله ، واذ ذاك انهمر السيل ، أشياء كثيرة . كل أنواع المرارة ... أشياء ما كنت لأعلم حتى بوجودها .

بيلى : لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة .

جين : ولا أنا . لقدكنت أجد الأمركله باعثا على الملل.

بيلى : يا رحمن يا رحيم . لقد رأيت غرائب فى حياتى . هذه نتيجة اعطائهن حق التصويت اللعين . انهن يبدأن فى فسخ خطباتهن لمجرد انهن يصدقن كل من هب ودب ممن يكتبون فى الصحف .

فوبيا : أوه ، اسكت ولو دقيقة واحدة يا أبى . (الى جين) هل تشاجرتما بسبب شيء أردت أن تفعليه ؟

جين : نعم انها ... حكاية معقدة . أظن اننى كتبت اليك وأخبرتك بأننى كنت أدرس الفن لعدد من فتيان نادى الشباب .

فوبيا : أوه ، نعم ، كان هذا منذ مدة طويلة جدا .

جـيـن : منذ سنة تقريبا . فقد عرفت شخصا كان يؤدّى نفس العمل ـ وهو شاب يعرفه جراهام ، وقد ذكـر لى أنه ضـاق ذرعا به وأنه لا يستطيع الاسـتمرار فيـه . وقال لى « انهـم ثلة من المناجيس الصغار ، واذا كان هنالك من يعتقد أن فى الاستطاعة تعليم هؤلاء الشياطين أن يخلقوا شيئا فهو مجنون . فما هم الا ثلة من المناجيس الصغار » . هذا ما قاله . غير أن شـيئا ما ... جعلنى تواقة الى أن أجرب هذا العمل . لم يكن وراءه أى كسب ، مجرد بضعة شلنات لبضع ليال كل أسـبوع ، ولكنه كان شـيئا أعرف القليل عنه ، أو ظننت انى أعرفه ... لم أتقن التصوير بالألوان أبدا طول حياتى ، ولكن خيل لى أن هذا أمر أسـتطيع حقا أن أفعله . حتى ولو كان مجـرد عراك مع حفنة من الفتيـة المتمردين . ولقد اعتقـد رئيس النـادى اننى مجنونة ، وكذلك جراهام .

فوبيـا : لا أستطيع أن ألقى عليه اللوم حقا . انه لا يبدو عملا طيبا من أى وجهة ـ خصوصا لفتاة شابة مثلك يا جين . يلوح لى أنهم عصابة فاجرة حقا .

جـــين : لقد كانوا كذلك . بل كانوا أفجر مما يطيق أى واحد من الشبان الذين تعهّدوهم من قبل .

فوبيـــا : اذا كانوا لا يريدون أن يتعلموا فلماذا يذهبون بحق السماء ؟

جـــين : كانت دراسة اجبارية ، فاذا حضروا درسا من دروسى كل أسبوع كان لهـم أن يشتركوا فى وجـوه النشاط الأخرى بالنادى ... كالرقص وما اليه . لقد صارعت هؤلاء الفتيان ، وكان طول بعضهم ثمانى أقدام ، ولقـد كرهت ذلك معظم الوقت ، وكرهتهـم . كنت أزعم لنفسى انى لا أكرههم ولكننى كرهتهم . كنت أكرههم ولكنى حسبت نفسى بالغة شـيئا ما . والآن يريد جراهام الزواج منى ، الآن قبل أن يحصل على اجازته الدراسـية ، ولكنى رفضت . انه لا يريدنى أن أعمل شيئا لنفسى . لا يريدنى أن أهدده أو أهدد دنياه ، لا يريدنى أن أنجح . ولذا فقد رفضته . وعند هذا توالت المسائل ... ميدان ترافلجار وغيره . وكما تعلمين لم يسبق لى أن تحققت ، بل لم يخطـر على بالى قط ، انك تستطيعين أن تحبى انسانا ما ، وأن تريديه ،

وتريديه أربعة وعشرين ساعة كل يوم ، ثم تكتشفين فجأة أن لاواحد منكما يعيش حتى فى دنيا الآخر.أنا لا أفهم هذا . أنا لا أفهمه وكفى. بودى أن أستطيع فهمه . انه مفزع . آسفة يافوبيا ، ما كان من حقى أن أشرب من هذا « الچن » فقد اشتريته خصيصا لك .

بيسلى : الحق أننا لانحتاج الاالى بضع حمامات هنا لنقلب هذا المكان الى ميدان ترفلجار . لم أر فى حياتى مثل هذا المكان اللعين المعرض لتيارات الهواء . كل من هنا يترك الشبابيك والأبواب مفتحة . لا أعتقد أن هذا مناسب للصحة . أقول لكم انكم تدخلون من باب فيقذف بكم الى الباب الآخر .

جين : كيف حال ميك الصغير ، هل وصلتكم أخبار منه ؟

فوبيا : أوه ، نعم بالطبع . لقد رحّلوه هناك ، وعلمت هذا ، ألم تعلمى ؟

جين : نعم ، علمت .

فوبيا : ان آرشى قلق عليه . انه لا يصرح بهذا ولكنى

أعرف أنه قلق . ان الأمر عجيب حقا لأنه يبدو أنهمـا لم يكونا على اتفاق قط فى كثـير من النواحى ، لا كما فعلت انت أو هو أو فرانك . انه ولد عاقل جدا ، ميك الصغير . مستقيم جداً. أستطيع أن أقول لك ان النـوم جفانى طويلا هذا الأسبوع .

بيسلى : انه ولد طيب . عندما اسـتدعوه ، ذهب دون جدال ولم يقل شيئا . ذهب بكل بساطة .

جـين : (فجأة) وعندما استدعوا فرانك رفض ، ودخل السجن من أجل ذلك ... ستة شهور . فرانك الصغـير المملوء بالشكوك فى نفســه وفى كل الناس ، المريض بالبرد فى رأسه نصف العام ، ضـعيف الصدر . كان محظوظا اذ نجـح فى الصف الثـالث . مسـكين فرانك (لفوبيا) انه ليس مكتمل القوة كما كنت تقولين على الدوام. كنت تخرجين لتشترى له بعض الحلوى ليأكلها، بل انك ما كنت لتتركيه ينظف حذاءه بنفسه ، لا ، لقد كنت تنظفينه له . ولـكنه ذهب وقال لا ، والأدهى أنه عوقب بالسجن من أجل ذلك. أوه ، لقد اسـتسلم فى النهـاية ، ولكنه قال

لا فخسر ستة شهور من حياته المعتلة المحوطة بالرعاية ... لقد قال لا . وانى لأرى شيئا ما فى هذا . فانتَ لا ينبغى لك أن تقارن ميك الصغير بفرانك يا جــدى . والآن لِـمَ يبــدو عليـكما التأذى ؟ لست أهاجمكما . انى لأحب كليكما حبا جما ، ولكن لعله لم يكن ينبغى لى أن أبداً فى شرب الچن وأنا فى القطار .

(ســـكوت) .

فوبيــا : حسنا ، فلنقفل هذا الموضوع الآن .

بيــلى : لم أقل الا أن ميك كان ولدا طيبا .

جــين : وهو كذلك . انه ولد طيب جــدا . انه شاب شجاع فى التاسعة عشرة من العمر يحارب من أجلنا جميعا ، لم يتعود أبدا بطريقة ما أن يقول لا ، ولم يرد أبدا أن يقولها ، وانى لأرجو من الله أن يعود سالمـــا .

فوبيــا : أوه يا عزيزتى چين ، تعتقــدين أنه ســيكون بخــير ، أليس كــذلك ؟ لست أدرى لمـــاذا يرسلون هؤلاء الصبية الى الخـــارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسوا الا صبية صغارا ،

هذا كل ما فى الأمر . وليس هو الا صبيا صغيرا.

بيـلى : انك لا تستطيعين التمرد على قومـك يا چين . لا تستطيعين أن تفعلى ذلك .

جـين : أين فرانك ؟ قَوْمى ... ومن هم قَوْمى ؟

فوبيـا : انه يعزف على البيانو فى أحـد تلك المشارب التى تعمل حتى أواخر الليل . انه لا يكاد يعرف ماذا يصنع بنفسه منذ أن خرج من ذلك المكان، من ذلك السجن اللعين . لن أنسى هذا ما حييت. أن يجعـلوه يدخـل السجن . لن أنسى ذلك ما حييت . لن أستطيع أبدا .

جـين : على أى حال لقد انتهى الأمر الآن . اليك كأسا آخر من الجن . لقد اشتريته لك .

فوبيـا : لا أريد . ثم حمـله على ذلك العمـل الذى لا ينبغى لغـلام مثله . حمّـال فى مستشفى . أتعلمين انهم شغلوه وقّادا للغلايات ؟

جـين : نعم . لعـله كان أحسن حالا فى الجيش ... يتدرب على الطعن بالسونكى .

فوبيـا : أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن ذلك . كنت أتمنى ألا يفعل هذا على أى حال . وانى لأتساءل هل

يكون ميك أحسن حالا آخر الأمر . أعنى أنهم يرعونهم بالفعل ... أليس كذلك ؟

جـين : أوه نعم . انهم يرعونهم كما ينبغى .

بيسلى : يرعونهم الآن خيرا مما كانوا يفعلون أيام كنت هناك . لم أقرأ صحيفة المساء بعد . موقعة الدردنيل . لقد خرجت منها بدون خدش . بدون خدش أصابنى .

جـين : انهم يبسطون رعايتهم علينا جميعا . نحن على ما يرام جميعنا . لا شىء يثير القلق نحن على ما يرام (تضغط على الكلمات) . حفظ الله الملكة .

(ظلام تام . يرفع الستار) .

(٤)

(ضوء كاشف على آرشى أمام الميكروفون) .

آرشى : لقد مثلت أمامهم جميعا . الملكة . ودوق أدنبره . والبرنس أوف ويلز . و ... ما اسم هذا الشاب الآخر عجباء كان هذا أحسن فى العرض الأول . (سكوت) لقد خلعت نظاراتى . لا أحب أن أراكم تتألمون . ما شأن هؤلاء النواحين ...

اه ؟ ما شـأن هؤلاء المغنـين ؟ لا أدرى علام نحن مقبلون . لا أدرى ... شرفا . انظروا الى القمامة التى يغنونها . انظروا الى الأغانى التى يغنونها : « رقصة أدعياء المدينـة المظلمة » . « رقصة نشارى الخشب » . « رقصـة شارع الحوض » ... انها أكوام من القمامة ، أليس كذلك ؟ . أراهن انكم ظننتمونى « نمـرة » سخيفة قبل أن اظهر ، أليس كذلك ؟ وماذا عن هؤلاء البنات ؟ (يشـير الى مؤخرة المسرح) ما القول فيهن ؟ ساحقات . أراهن انكم تظنون اننى أقضى وقتا طيبا هنا فوق المسرح مع كل هؤلاء الفتيـات المستعرضات ، أليس كذلك ؟ معكم حق . تظنون من مظهرى أننى جذاب جنسيا ، أليس كذلك ؟ لا يا سيدتى . مظهرى لا يدل على جاذبية جنسية ، أليس كذلك ؟ (سكوت) أسألوه (ويشير الى قائد الأوركسترا) أسألوه (يحملق فى النظارة) أتظنون بى هذا ، أليس كذلك ؟ تظنوننى كذلك ؟ أبدا ، لست كذلك . ولـكنه هو (يشـير مرة أخـرى الى قـائد الأوركسترا) انى أفضل زجاجة من البـيرة فى أى يوم .

والآن سأغنى لكم أغنيــة صــغيرة ، أغنيــة صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها أخت الزوجــة ، أغنية صغيرة عنوانها «لن تدق أجراس الكنيسة القديمة الليلة . » . شكرا لك يا تشارلى .

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحــد فرقم واحــد هى الواحــد الأوحــد عنــدى ياانجلترا العجوز الطيبة، أنت لى كقدح الشاى ولكننى لا أريد مساواة باهتة .

لا تَدَعوا مشاعركم تتوزع .

ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن لأن البريطانيين سيكونون أحرارا .

ان مشروع التأمين الصحى لن يجلب لكم الثراء فهــذه الشعور المستعارة والنظارات اللامعــة انما تباع لى ولكم .

والجيش والبحرية وســلاح الطــيران
هى كل ما نحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا
انه ما زال مِلْكا لــكم ذلك الأحمر والأبيض
والأزرق

(ينزل العلم البريطانى) .

وهذه القطع الحمراء التى ما زالت على الخريطة
لن نتخلى عنها دون قصاصة من الورق .
مما لدينا مما بقى
سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم .
أوه ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى
نحن جميعـا فداء للعجوز الطيبـة رقم واحد
نعم ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى .
بارك الله فيكم !!
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى !
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى ! »

(يخـرج) .

(٥)

بيلى . فوبيا . چين

بيـلى : كن رشيقات ، وكان فيهن غموض ووقار . نعم فعنـد ما كانت المـرأة تخرج من العربة كانت تنزل . تنزل . وكنت تمدّين اليها يدك برشاقة لتساعديها على النزول . انظـرى اليهن الآن . أما رأيت أبدا امرأة تخرج من سيارة ؟ حسنا ، هـل رأيت ؟ لقـد رأيت أنا ، ولا أريد أن

أراها مرة أخرى ، أشكرك شكرا جزيلا . انى لم أر أبدا ساقى امـرأة حتى بلغت التاسـعة عشرة . لقد تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة كما تعلمين . ولم أكن تجاوزت العشرين عندما ولد أخو آرشى . بيل الكبير . لقد سير أموره على أى حال . انى لا أذكر المرة الأولى التى وقعت عيناى فيها على جدتك . لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة . كانت ترتدى معطفا من القطيفة، وكان أسود ، أسود بفراء على حافته ، وكانت هــذه هى « المــودة » فى ذلك الوقت . كان محبوكا على قامتها . وكانت وهى تلبس قبعـة الفرو الصغيرة والدثار أشبه ما تكون بالصور.

(آرشى يدخل مندفعا وبين ذراعيه كيس وزجاجات يضعها بسرعة . آرشى رايس يشرف على الخمســين . شعــره مرجل يخالطه المشيب . يلبس نظارات وبه انحناء بسيط نتيجة نوع من ادعاء العلم انتحـله أصلا منذ ثلاثين سنة حين تخرج من احدى تلك المدارس العامة الصغرى فى لنــدن ، التى كانت تعمـل عادة على تخريج بعض مغامرى الطبقة الوسطى التافهين وكذلك مديرى البنوك والشعراء . والسيـدات يحببنه ويدللنه لأنه اليف جدا وتبدو عليـه

مظاهر السادة . وبعض زملائه من الفنانين يسمونه « الأستاذ » أحيانا ، كما يسمى نقيب الجيش المتقاعد « رائدا » ، وهو يبدى ابتسامة عطف نحو هذه البساطة ، حيث يعلم أنه لا ينتمى الى اى طبقة ويلعب دوره كما يحسنه ، وهو يبدى بعض العطف على ابيه ويكن له اعجابا عميقا . وهو عطوف على زوجته فوبيا التى يشفق عليها من كل قلبه ، وهذا هو ما منعه من تركها منذ عشرين سنة . أم أن هذا ـــ كما يظن كثير من الناس ـــ لأن الشجاعة تنقصه ؟ وعلى أى حال فانه لا يدارى علاقاته المتصلة بالنساء الأخريات ـــ حقيقة أو خيالية ، فهى جزء من شفقته ومن عطفه ومن اسطورته الشخصية . وهو يعطف على ابنه الاكبر فرانك الذى ليس على طرازه من التسامح والتصوف والشجاعة ، والذى يكن له حبا يكاد يكون غير حقيقى ولا مترجم . يقابل هذا أن عطفه على ابنته جين اكبر اقترانا بالحرص والمكر والشك . فهو يحذر ذكاءها لعلمه انها قد تكون اقوى من بقيتهم . وما يقوله لأى انسان يلقى به على الدوام تقريبا فى عناية بالغة . أما ما يبدو عليه من شرود الذهن فهو من حيل الممثل الهزلى ، حيث يخلصه من أن يبدو عليه الاهتمام بأى شخص أو اى شىء) .

آرشى : نعم ، نعم ، عدنا الى سيقان النساء !! (للآخرين)

هذا ما يسميه شستيرن ركوب متهرك برأس متزن . أظنه كان شستيرن ، على أى حال ، أو لعله جورج روبى ؟ أوم ... هالو يا عزيزتى ، انه لشيء جميل (يقبل چين) ان نظاراتى ليست على عينى ، خيّل لى أنك محصل ضريبة الدخل جالسا هناك بعد ما ظننت اننا اقتلعناه . هل انت بخير ؟

جين : شكرا لك . لقد شربت كمية كبيرة من الجن فى انتظارك .

آرشى : لا بأس ، يمكنك أن تشربى كأسا آخر منه بعد قليل . لم تحجزى مكانا فى فندق أو أى مكان محترم ، أليس كذلك ؟

جين : لا ، ولكن ....

آرشى : جميل جدا انى أنام وحدى الليلة ، فباطن ساقى يؤلمنى كالعادة . وبوسعك أنت وفوبيا أن تناما فى غرفتى وسأضطجع أنا على الأريكة . كنت أتحادث الآن مع صديقنا الملون على السلم .

فوبيا : أنه طالب .

آرشى : لا ، أنه ليس طالبا . بل راقص باليه .

فوبيـــا : (مندهشة) هل هذا صحيح ؟ (لچين) انه انسان ضخم .

آرشى : انه يرقص فى مسرح الحديقـــة الشـــتوية لمدة أســـبوعين .

بيسلى : راقص باليه !!

آرشى : لقد أخبرنى أنك لو أسقطت قبعتك هناك الآن فان عليك أن تدفعها برجلك نحو المشى قبل أن تستطيع التقاطها

(يقف بسرعة ثم يشنانف الحديث عن خبرة) .

ليسوا جميعـــا من الملونين . رأيت اثنين منهم فى الأوتوبيس فى طريق عودتى الى المنزل أمس، كانوا يتحادثون معا طول الوقت والكل يصغى اليهم . وبمجرد أن قمت لاضغط على الجرس صاحت امرأة ، « لقد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » . فظننت لحظة أنها تقصدنى، ولهذا اســـتدرت ، ولكنى وجدتهـــا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها .

بيســلى : أنا لا أحب أن أرى رجلا يرقص كهذا .

آرشى : عملت مرة فى فرقة استعراضية بها راقصان من الذكور ، وحيثما ذهبنا ، وفى ليلة الاثنين من كل أسبوع ، اعتادت احدى النساء أن تشكو من انتفاخ سراويلهـا . حيثما ذهبنا ، كل ليلة اثنين . أنا واثق أنها كانت نفس المـرأة فى كل مرة ، وكنت أسميها « تابع القافلة » . والآن ماذا تتناول ؟ فلننظر ماذا عنـدنا (يفتش فى الحقيبة وفى جيوبه) .

بيـلى : هناك برقية لك .

فوبيـا : ألا تظن أنها تبدو شاحبة بعض الشيء ؟

آرشى : انها تبدو لى بخير . كل ما فى الأمر أنهـا فى حاجة الى كأس .

بيـلى : (وقد بدأ يتعب ويتململ) هناك برقية لك !!

آرشى : هل كنت فى المشرب أيها الفتى العجوز ؟

بيـلى : لا لم أكن ! كنت جالسا هنا أتحدث مع جين .

آرشى : يجب أن أذهب الى الفـراش اذا كنت تشعر بالتعب .

بيـلى : لست متعبا ... انى أستطيع أن أسـهر حتى تخرج فى أى يوم .

آرشى : (يتناول البرقية) كنتم تسقونه هذا الچن المريع . انه يتحدث كما لو كان كبيرا للسقاة فى زى الكهنوت . انه أحد دائنى . فلتنتظر (يرميها على المنضدة) لعلك تظن أنهم سيزدادون علما هذه المرة !! عندى بعض الچن كذلك ... وعندى ديبونيه مما تحبه فوبيا العجوز ، أليس كذلك يا عزيزتى . انها تعتقد انها تصير (لام ألف) عندما تشربه ، أليس كذلك ؟

فوبيا : انى أحبه ، يظهر أنه يناسبنى . أنا لا أستطيع أن أشرب الچن خالصا كما يستطيع هو . (لآرشى) علام كل هذا ؟ هل كانت ... هل كانت الأمور على ما يرام فى المسرح ؟

آرشى : لا ، لم تكن الأمور على ما يرام فى المسرح . فى ليلة الاثنين كان هناك ستون متسكعة بائسة ، والليلة كان هناك حوالى مائتى متسكعة بائسة . ولو أمكننا أن نفتتح العمل ليلة الاثنين فى وست هارتلپول فسيكون ذلك بالموافقة المقرونة بالتحفظ الشديد من نحو ثلاثين شخصا غاضبين . ولكنى لا أريد التفكير فى هذا الموضوع الليلة .

فوبيـــا : أوه يا آرشى .

آرشى : هيا ، تناولى الديبونيه ياعزيزتى ، لا تصيرى عاطفية أبدا . چين ، هنا كأسك . بيلى ، اصح .

بيـــلى : أنا صـــاح .

آرشى : كف عن الصياح اذن . انك تبدو كواحـــد من المعلنـــين التجـــاريين فى التليفزيون . هـــاك كأسا لك .

بيـــلى : لا أريد كأسا قذرة .

آرشى : أنك تبدو كما لو كنت ستغنى ترنيمة .

بيـــلى : أنا تعبـــان .

آرشى : هذا خير ... خذ كأسا واذهب الى فراشك .

بيـــلى : لم أقرأ صحيفة المساء حتى الآن .

آرشى : لا بأس ، اذا كنت قد ربحت الجائزة الكبرى فسنقرأ عن ذلك فى الصباح .

بيـــلى : أنا لا أريد أن أبقى هنـــا وأركد حتى لو أردت أنت . أريد أن أعرف ماذا يجـــرى فى الدنيـــا .

آرشى : نعم ... الحق أنك حسن الاطلاع الى درجة مدهشة (للآخرين) أنه يعتبر قارئا ممتازا بالنسبة لمثل عجوز جاهل .

بيسلى : لست ممثلا عجوزا جاهلا .

آرشى : بلى . انك لكذلك . والآن لا تجادل واشرب كأسك . انى أقيم احتفالا .

بيسلى : احتفال !! ماذا لديك تحتفل به ؟

آرشى : عجبا .

بيسلى : (يقف) ليس لديك شيء واحد تستطيع أن تعتبره ملكا لك . وبمثل ما أنا متأكد من أن الله خالق التفاح الصغير ، أراهن بجنيه لبنس انك ستنتهى الى قاضى التفليسات مرة أخرى قبل الكريستماس ، وستكون محظوظا اذا لم تدخل السجن كذلك .

فوبيا : خذه الى الفراش يا آرشى ، لقد غلبه التعب .
اذهب الى الفراش فقد غلبك التعب .

بيسلى : لم يغلبنى التعب . أنا لا أحب فكرة وجود نزيل سجن آخر فى العائلة .

فوبيــا : اهدأ يا أبى . لقد شربت فوق الكثير .

بيسلى : فى اســتطاعتى أن أشرب معكم حتى تفقــدوا الوعى أجمعين .

آرشى : يا عجبا ، لقد بدأ يتحول الى متدين الآن .

بيسلى : انى كنت أتناول نصف زجاجــة من البراندى ذى النجوم الثلاثة فى وجبة الافطار ...

آرشى : ورطــلا من البفتيك وفتــاتين من الكورس . سيحكى لكم القصة كلها فى لمح البصر .

بيسلى : (غاضبا) انى أترك فتيات الكورس لك أنت .

آرشى : لا شيء يعدل أن تقطع لنفسك شريحة جميلة من لحم الخنزير .

بيسلى : انى أفهم ما تعنيه .

آرشى : لا يأخــذك الهيــاج يا أبى . انك ســتوقظ البولنديين .

بيسلى : لا تحدثنى عن هذه الحفنة من القطط الملوثة . كان فى اســتطاعة أى بريطانى على الدوام أن يقضى على نصف دستة من هذا الصنف . ولكن الأمر لا يبدو كذلك الآن .

آرشى : حسنا ، لا بأس . لا تصسد علينا المأدبة ...

بيــلى : انى متكفل بنفسى ، وهو آكثر مما فعلت طول حياتك . وأحب أن أقول لك انى تلقيت العلم فى واحدة من أحسن المدارس فى انجلترا .

آرشى : لقد خرّجت قائدا عاما ذا ميول فاشية قوية ، وشاعرا كاثوليكيا فاشلا وآرشى رايس .

بيــلى : هل تعرف ماذا قال عنى جيمس آجيت ؟

آرشى : أوه نعم ... قال انك ومسز بات كامبــل كنتما خير من تقلدانه من النساء .

بيــلى : انك تعلم جيدا ما قال .

(آرشى يعلم بطول التجربة الى أى حد يستطيع التمادى وهــو يحاول بلطف أن يدير الموقف) .

آرشى : نحن نعلم جميعا ما قاله ، وكل كلمة منه كانت حقــا .

(بيلى يحدق فيه ويتحسس نظارته) .

آرشى : حسنا ، كنت أقول قبل أن يقاطعنى أبى الجاهل العجوز ...

بيــلى : ليس هنــاك ما يخجــل فى أن تكون ممثــلا

عجوزا . وهيهات أن تكونه أبدا ، انك لا تعرف معنى هذه الكلمة .

آرشى : أوه اذهب الى فراشك يا أبى ... فقد بدأ الحمق يغلب عليك .

بيلى : كان من المتعين أن تكون ذا شخصية لكى تستطيع أن تصبح ممثلا هزليا فى ذلك الوقت . كان لا بد أن تكون حقا انسانا له اعتباره .

آرشى : سبب هذا الاحتفال الصغير أن غدا ... أوه بل اليوم على الأصح ... يوافق عندى الذكرى العشرين .

فوبيا : الذكرى العشرين ؟ أى ذكرى ؟

آرشى : الذكرى العشرين لعدم دفعى ضريبة الدخل . فآخر مرة دفعت فيها ضريبة الدخل كانت فى سنة ١٩٣٦ .

بيلى : سيمسكون بخناقك فى النهاية . سوف ترى .

آرشى : وهو كذلك يا حبيبى ، يمكنك أن تغنى لنا ترنيمة بعد قليل . انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة وانى لأستحق نوعا من الجائزة عليه .

(لجين) ألا تعتقدين أن أباك العجوز يستحق جائزة ؟

جسين : انى لأتساءل الآن كيف وصل بك الأمر الى أن تدفع ضريبة دخل فى سنة ١٩٣٦ .

آرشى : سوء الحظ . هذا كل ما هنالك . كنت حبيس المستشفى بسبب فتاق مزدوج ، وكان غاية فى السوء ومعقداً بشكل مريع حتى ظننت أن كل خططى للمستقبل ستنهار فى لحظة . على كل حال هذه مسألة أخرى سأرويها لك يوما ما . كنت هناك راقدا على ظهرى أتساءل هل بيرة باص * وحدها تكفى لأن تجعل الحياة جديرة بالبقاء ، واذا برجلين يرتديان القبعات المستديرة ومعاطف المطر ، ينقضان على من وراء الستار . وكانت هذه سقطة آرشى الوحيدة . كان يمكن أن تحصل لأى مخلوق . وأعتقد أن ممرضة العنبر قد وشت بى ، فكثيرا ما قالت لى أنها متزمتة جدا ، ولذا أظنها فعلت ذلك . واذ ذاك خضعت للقانون لحظة ، وكنت أمثل فى

---

* نوع من البيرة تصنعه شركة باص وشركاه .

« قصة المدينتين » . فلما قلت لها ذلك قالت « أوه نعم سمعت عنها ... (الى بيلى) كانت سيدة ايرلندية . « قصة المدينتين » ... أليست هى عن سادوم وعاموره ؟ »

(جين تبتسم . بيلى وفوبيا كفا عن الاصغاء) .

آرشى : احدى السيدات فى الصالة كان يبدو عليها الليلة أن الحفلة تروقها جدا .

فوبيا : جين حدثت مشادة بينها وبين جراهام .

آرشى : صحيح ؟ أوه أنا آسف . كان يجب أن أسأل ، أليس كذلك ؟ انى آسف يا عزيزتى . أخشى أن تكون رأسى قد دارت (يتلفت حوله) أعتقد أننا جميعا كذلك . أتتم كذلك .

فوبيا : لقد فسخت خطبتها .

آرشى : أفعلت ذلك حقا ؟ حسنا ، كان يجب أن أعتقد أن الخطبة شيء ريفى نوعا ما بالنسبة للمثقفين أمثالك . سيكون لك موتوسيكل وسايدكار فى المرة القادمة .

فوبيا : أوه كف عن التفكه بها يا آرشى . كن عاقلا ، ألا ترى أنها مغمومة .

جـين : لست مغمومة ، ولم أتخذ بعـد قرارا فى أى شيء . وانما جئت لأراكم جميعـا وأرى كيف حالكم لأننى اشتقت اليكم .

فوبيـا : أحقا . هذا جميل جـدا منك يا عزيزتى . انى أقدر هذا . أقدره حقا .

آرشى : انها تعلم أننى لا أتفكه بها .

فوبيـا : أوه بودى أن أعلم ماذا سيحدث .

جـين : لا تهتمى بشأنى . ألم تأتكم أخبـار من ميك الصغير ؟

آرشى : لا ، ان صاحبنا ميك يستطيع أن يعنى بنفسه . انه ولد غير معقد ، هذا الانسان . أتوقع أن يكون باذلا جهدا خارقا . أرجو ذلك على أى حال . ما الذى حدث بينك وبين جراهام ؟

بيـلى : لقد ذهبت ابنتك يوم الأحد المـاضى الى هذا السيرك الذى فى ميدان ترافلجار ، من فضلك .

آرشى : أوه ، أحقا ؟ أأنت واحـدة من أولئك الذين لا يحبون رئيس الوزراء ؟ أعتقد أننى أحببته جدا وذلك بعد أن سافر الى جزر الهند الغربية ليحمل نوويل كوارد على أن يكتب له مسرحية.

ومع هذا فلعل من هو من جيلي فقط يستطيع أن يفهم ذلك . هل يضايقك منه شيء ؟

فوبيسا : أوه ، يا الهى بودى لو أعرف ما الذى سيحدث لنـــا .

آرشي : عنـــدى نفس الشعور بالنســـبة لذلك الكلب المريع الذى تحت الســـلم . انه يخـــرجنى عن صوابى كلما نظرت اليه . هناك ثلاثة أشـــياء تحدث هذا لى : الراهبات والقسس والكلاب.

فوبيسا : أنا لا أحب أن يفرض على أن أعمل على الدوام . أعنى أنك محتاجـــة لقليل من الحياة قبـــل أن تنتهى كلها . انه ليذهب بكل بهجتها أن تعلمى أن عليـــك أن تعملى وتعملى حتى يحملوك الى القبر فى صندوق . ان هذا يناسبه هو ، فهـــو على ما يرام . مازالت عنده نســـاؤه ما دامت حياته باقية على أى وجه . ولكننى لا أريد أن أنتهى بأن يتولى دفنى غريب فى شارع قذر خانق صغير فى حى جيتسهد أو وست هارتلپول أو غيرهما من جحور موتى الأحياء .

جـين : فويبا ، أرجوك ألا تدخلى الغم على نفسك ، فلنستمتع ....

فويبـا : استمتع ؟ أو تحسبين أنى لا أريد أن أستمتع ! غاية ما فى الأمر أننى سئمت هذه العيشة القلقة المضنية ، وسئمت الناس من أمثاله .

(تبـكى) .

آرشى : أتمنى ألا تبكى النساء . أتمنى هـذا . حاولى أن تقولى لها شيئا ياچين .

جـين : (ذاهبة الى فويبا) لمـاذا لاتستمتعين بحياتك ؟

فويبـا : كنت أتمنى أن أسـتطيع . انمـا أتمنى أن أسـتطيع .

جـين : (لفويبا) هيا يا عزيزتى . ألا تريدين الذهاب للفراش ؟

فويبـا : بلى ، أظن ذلك يا عزيزتى اذا سـمحت . أظن أننى تجاوزت حدى قليلا. آرشى يعرف طبيعتى. اننى لا أستطيع احتمال الكثـير من الاثارة ، وأعتقد أننى ربما أكون متأثرة جدا برؤيتك ، فقد كانت مفاجأة سارة جدا . أو لعلى قلقة من

أجل ميك بطريقة لا شعورية ، فانى دائمة التفكير فى كل هذا القتال ...

آرشى : عليك بالنوم قليلا يا حبيبتى وستشعرين بالتحسن عندما تقومين .

فوبيا : (تقف) وهو كذلك يا عزيزى ، سأذهب فالساعة متأخرة على كل حال . كان ينبغى لأبيك أن يكون فى الفراش منذ ساعات ، سيكون غدا فى حالة سيئة . أجعله يذهب الى الفراش يا آرشى ، أرجوك .

آرشى : وهو كذلك . (لجين) اصعدى معها .

فوبيا : (متوقفة) هل ستأتى لتحيينى تحية الليل يا آرشى ؟

آرشى : نعم ، غاية الأمر أننى سأنهى احتفالى الصغير . انه عيد ذكراى ، لا تنسى .

فوبيا : (تبتسم) انه مضحك .

(تخرج هى وجين) .

آرشى : (لبيلى) أتريد كأسا قبل أن تذهب للنوم ؟

بيلى : لا ، شكرا . فقد أخذت الكفاية .

آرشى : هيا أيها العجـوز المـاكر (يصب كأسا) انى أعرف وجهك ، هـذه هيئة الراغب فى التغنى بترنيمة .

بيـلى : أتظن أننى لا أريد ؟

آرشى : أنا واثق كل الثقة انك تريد . هيا بنـا نأخـذ كأسا منعشـا للقلب وبعـدها فلنشرب ما بقى لديك من البيرة ثم تأو الى فراشك .

بيـلى : وهو كذلك . سأغنى .

(يعتدل فى جلسته ويغنى) .

« الى الأمام أيها الجنود المسيحيون
السائرون وكأنما الى الحرب
وصليب اليسوع
سائر أمامكم
فيسوع السيد المملك
يحارب العـدو
أماما فى المعركة ... »

(تعود جين الى الحجرة ويشتد التعب ببيلى فينقطع عن الغناء ويتحرك نحـو حجـرته) .

بيسلى : ليلة سعيدة يا جين . لقد سرتنى رؤيتك .سيكون لنا حديث غدا .

جسين : نعم وستأخذنى الى النادى . تذكر .

بيسلى : ليلة سعيدة يا ولدى .

آرشى : ليلة سعيدة يا أبى .

(يخرج بيسلى) .

جسين : أبى ....

آرشى : نعم

جسين : انك تسر شيئا فى نفسك .

آرشى : انك لا يفوتك شىء . أليس كذلك ؟ الملاحظة... هى أساس كل فن .

جسين : ما هو ؟ انى لأحس طول هذا اليوم بسقم غريب فى معدتى كما لو كان شىء ما سيحدث . أنت تعرف هذا الشعور .

آرشى : نعم أعرف هذا الشعور . لقد وقع ميك فى الأسر . ويبدو ألا أحد هنا يعلم بذلك . وقد نشر ذلك فى الصحف ، ولم يكن هناك محل للافضاء بالنبأ الليلة . وان غدا لقريب (يفتح

البرقية) انهم يحصلون عادة على هذه الأشياء قبل الناس الذين يعنيهم الأمر حقا . لقد عرفت ماذا يمكن أن تكون هـذه (يناولها البرقية ويتناول الصحيفة) يبدو أنه صرع عددا كبيرا من الخنازير برصاصه ، أليس كذلك ؟ وهنـا صورة لصاحبك كذلك ، هـذا الذى يخرجك عن صوابك ، انه يبدو جادا هذه المرة ، لعـنه قلق على مصير ميك الصغير .

جسين : أظن أننى سأتناول شيئا من هذا .

(يدفع كأسها نحوها) .

ارشى : حسنا ، ميـك لا يجب أن نقطـع احتفالنـا . سـنشرب نخب ميـك ، ولنضرع الى الله أن يسلم . ميك ومحصل ضريبة الدخل . بالنسبة لك هم رؤساء الوزارات ، أما بالنسبة لى فهى الكلاب . الراهبات والقسس والكلاب . ألم أخبرك أبدا بأعظم تحية قدمتها لنفسى ، أعظم تحية اكتنزتها على الدوام ؟ كنت أسير على طول الجبهة فى مكان ما ــ يبدو كما لو كان هنا ــ وفى يوم ما ، أوه ، أظنه منـذ خمس وعشرين سنة ، كنت فى عز شبابى . نعم ، كنت أسـير على طول الجبهة لأقابل ما أظن أننا كنا نسميه

شيئا من الفرقعة ، أو لعله كان شيئا من الزغب المتطاير . لا ، كان هـذا أولاً . على أى حال أذكر اننى استمتعت به فيما بعد . ولكن المهم أننى كنت أسير على طول الجبهة من تلقاء نفسى كلية ، غـير ملق بالا الى شىء (سـكوت) فأقبلت نحوى راهبتان (سكوت) راهبتان ...

(يقطع الحديث وقد بدا عليـه التعب والشيخوخة . ينظـر الى جين ويدفـع الزجاجة نحوهـا) .

آرثى : كلمينى .

سـتار

نهـاية الفصل الاول

اسـتراحة

(٦)

بيلى وفوبيا وجين.فوبيا محتقنةالوجه من الشراب

بيـلى : أنا أعلم أنهـم لا يستطيعـون منعـه . انهـم لا يجرؤون .

فوبيـا : يعود الى البيت خلال يومين .... لا أستطيع أن أصدق هذا .

بيلى : انهم لا يجرؤون ، حتى فى هذه الأيام ... انهم حفنة من الماكرين . ما زلت أذكرهم من قبل الحرب . كنت فى تلك الفرقة المسرحية اذا كنت تذكرين يا فوبيا ...

فوبيا : ما الذى يريدون أن يحتفظوا بولد كهذا من أجله ؟ هذا ما ظللت أسائل نفسى عنه . انه لا ينفعهم بأى شىء . لا ينفعهم بأى شىء ، أليس كذلك ؟

بيلى : حفنة من الأوغاد المتنطعين . كنت أنزل فى الامباسادور كما تعلمين ، وأعطونى صندوقا من سيجار روميو وجولييت .

جين : (محوطة بكوم من الصحف) حسنا ، لقد اشتهر اسم رايس مرة أخرى .

بيلى : كان طوله هكذا . لم أحصل على سيجار مثله منذ سنين .

فوبيا : انه يحب السيجار . أنا أشترى هذه السجاير أحيانا . ليست الا شيئا رخيصا ، ولكن هذا لا يهمه ، أليس كذلك ؟

بيسلى : بالطبع لا يهمنى . لقد أعطتنى جينى بعضا منها ؛ أليس كذلك . ماذا بك ؟

فوييا : أوه ، نعم . لقد نسيت .

بيسلى : لك عقل كالغربال القذر !!

فوييا : كنت مغفلة على الدوام فى المدرسة . اننى أفكر فى آرشى . لكم أخشى أن يخيب ظنه ، وأن يسير كل شىء على غير ما يرام ، وانهم لن يتركوا ميك يعود آخر الأمر .

بيسلى : لا تؤاخذينى يا فوييا ، انك تتحدثين بألعن تفاهة قضى على أن أجلس وأصغى اليها طول حياتى .

جين : لقد أعطوا تعهدا رسميا .

بيسلى : تعهد رسمى ، آه يا ظهرى ... لو حسبت أن مستقبل هذا الولد متوقف على تعهدهم الرسمى لاستطعنا أن نقول لهم « شكرا جزيلا وليلتكم سعيدة » .

فوييا : (والصحيفة فى حجرها) لدينا طائرة محجوزة متأهبة للعودة به الى الوطن .

بيلى : «تعهد رسمي» ... ألفاظ السياسيين بالضبط... انها ماكانت لتعني شيئا لو صدرت من واحد منا.

جين : (تقرأ) « يعيدونه للوطن » ... فى خلال ساعات قليلة لا بد أن يكون الجاويش رايس طائرا نحو الوطن فى طائرة خاصة من طراز داكوتا .

بيلى : انهم يعلمون جيدا أنهم لا يجرؤون على فعل شيء غير هذا .

جين : سيكون لنا بطل من أنفسنا ، تستطيع أن ترى أن ....

بيلى : أى واحد منا كان سيفعل نفس الشيء . فليس فى أى واحد منا أى عيب ، ولم يكن فينا عيب أبدا . انكم لا تستطيعون بلوغ القمة جميعا ، ولا تستطيعون أن تصنعوا حظوظكم . أما أنا فكنت محظوظا على الدوام ، على الدوام . ولاحظوا أننى كنت طيبا أيضا . هذا السفير ، وكان اسمه سير كذا بيرسون ، لطيف ومن أحسن طراز على الاطلاق ، قال لى : اننى فنانه المفضل ، صارفا النظر عن جورج روبى .

فوبيا : أى خير يجنونه من التمسك بغلام . انه ليس الا غلاما .

جـين : هذه الصحيفة تقول ...

بيـلى : انه محظـوظ . كنت محظـوظا على الدوام ، ولاحظوا انني كنت طيبا أيضا .

جـين : (تقرأ) « صرح الملازم بيرسون من لايسستر الذى كان مع الجاويش رايس قبـل وقوعه فى الأسر ببضع دقائق بأنه لا بد أن يكون قد قتل سبعة من المهاجمين على الأقل » .

بيـلى : قلت : ان اسمه بيرسون ...

جـين : وقال بيرسون « انه لا بد أن تكون ذخيرته قد نفدت قبل أن يحـاط به . لأن رايس الصغير ليس من الطراز الذى يستسلم » .

(سـكوت) .

فوبيـا : أنا لا أود أن أخيب أمل آرشي ، هذا كل ما فى الأمر وفوق كل شيء . لقـد لقى ما كفاه من خيبات وما أظنه سيعتاد عليها أبدا .

بيـلى : أنت ترين أنه بعد يومين اثنين سـيكون ميك جالسا هنا يحدثنا عن الأمر .

فوبيـا : أذكر أن أمي وعدتنـا مرة نحن الأطفـال أن

تأخذنا الى خيال الظل ، ولكن حدث شيء ما فلم تستطع أخذنا . لا أعرف ماذا كان ، ولعله لم يكن لديها نقود ، وكان دخول الصالة وقتها بستة بنسات . مسكينة أمي العجوزة ... لقد أخذتنا بعد ذلك ، ولكن لم يبدُ لي أنه نفس الشيء . فقد منيتُ بخيبة كبيرة ، وظللت أفكر في خيال الظل طوال بضعة أسابيع . لا ينبغي لك أن تبني في الهواء فستصاب بالخيبة الحقة على الدوام . وهذا مصدر متاعب آرشي . انه دائما يبني كل شيء في الهواء . ولا يتحقق له شيء أبدا .

بيسلي : انه أحمق .

فوبيا : انه أطيب مما ينبغي لهم ، وهذا أساس متاعبه . فالناس لا يقدرونك حق قدرك . فلنفرغ هذه ، أليس كذلك ؟ سيحضر آرشي بعضا منها عند عودته .

بيسلي : لقد انتهى الأمر . قلت له منذ سنين ، ولكنه لا يسمع ، انه لا يصغي لأحد .

فوبيا : انك لا تستطيع أن تخطط لآرشي طريقه . حقا ، كل ما يطلبونه هو الاستمتاع الرخيص (لجين)

هيا قاسميني هذا ... ان علينا جميعـا أن ...
ما هي الكلمة ؟

بيـلي : لا أدري عمَّ تتكلمين .

جـين : نهادن ؟

فوبيـا : انها تعلم ما أقصد . بالضبط يا عزيزتي . أنت تثابرين وتثابرين وتبذلين أقصى جهدك ثم يأتي وقت لا تستطيعين فيه مزيدا من المثابرة . انه نفاذ الجهد ... أو هذا ما أظنه . انه ليس الا التعقل . (لجين) هل قال لك أي شيء ؟

جـين : عن ماذا ؟

فوبيـا : أوه ، عن أي شيء . انه لا يقول لي شيئا أبدا هذه الأيام ، كل ما يقوله لي ألا أشغل بالي ثم لا يقول شيئا . لقد أخبرني فرانك أن الفرقة لم تقبض الا نصف أجر ليلة السبت ، وهو يعتقد أن عمال المناظر لا بد أنهم تشاجروا معه لأن ...

بيـلي : لقد قال لي انه سيحضر لي بعض السجاير . كان في استطاعتي شراؤها بنفسي خلال هذا الوقت . أظن أنه في الروكليف .

فوبيـــا : كلما سمعت طرقا على الباب لم أجرؤ على الرد خشية أن أجد شرطيا واقفا وراءه وبيـده أمر قبض آخر .

جسين : (تقدم السجاير لبيلى) خذ واحدة من هذه .

بيـلى : سوق اللحم العارى القذر .

فوبيـــا : ليس شعورا طيبا أن تخشى الرد على الباب .

بيـلى : لسوف تجدين وراء الباب شرطيا حقيقيا ....

فوبيـــا : (متعبـة لا متحـدية) أوه ، لا تقاطعنى كلما تحدثت الى چين .

بيـلى : (لچين بأدب) شـكرا يا عزيزتى . (يتنـاوله صحيفته) .

فوبيـــا : لقد أغضبته الآن .

جسين : لا لم تغضبيه وانمـا هو يقـرأ ، أليس كذلك يا جدى ؟

بيـلى : أوم ؟

فوبيـــا : أوه ، على كل حـال ، ليس حسنا أن نقلق ، أليس كذلك ؟ تقول الصحف ان ميك عائد الى

الوطن ، ولا بد أنهم عليمون بهذه الأمور وهذا هو المهم حقا . اليك قليلا من هذا يا عزيزى .

بيــلى : لا ، شكرا .

فوبيــا : (لجين) املئى له كأسا . هناك واحــد . أوه يا أبى ، انه يبالغ فى كل شيء ، ألست كذلك ؟ انه يبالغ فى كل شيء ولكنه على حق كما تعلمين. انه على حق فيما يتعلق بآرشى . ما من عدو له فى العــالم ألحــق به من الضرر مثلمــا ألحق بنفسه .

جــين : هاك يا جدى .

بيسلى : شكرا . سآخذه فيما بعد .

جــين : لا تأخذه فيما بعــد . اشربه الآن فهــذا وقت الاحتفال . هيا اذن ولنشرب نخب ميك .

فوبيــا : نعم فما ينبغى لنا أن نجلس هنا ونترك الحزن يتسرب الى نفوسنا . لقد كاد شرابنا أن ينفد، أليس كذلك ؟ أرجو ألا يطول مقام آرشى فى ذلك المكان .

جــين : لقد ذهب فرانك معه ، ولن يطول غيابه .

فوبيـــا : أوه ، سيعمل فرانك على ألا يعود الى البيت جد متأخر . فرانك ولد غافل ... انه غافل أحيانا على كل حال . (لجين) أظن أنك أنت العاقلة الوحيدة فينا جميعا .

جـين : جدى لا يعتقد هذا ، أتعتقده ؟

بيـــلى : ما هى الا حمقاء مثل بقيتكم .

فوبيـــا : انه يضحك على نفسه . لديه دائما فكرة ضخمة يكسب بها المـــال . منذ فترة ماضيـــة كانت فكرة تقليد النساء . وكنا سنشكل فرقة ، هذا ما قاله آرشى على أى حال . غير أنه بمجـــرد أن بدأ آرشى فيها ذهبت كلها هبـــاء . والآن الروك آندرول . أوه نعم ، هـــذا ما تحبـــه النساء . انهن يسأمنه ويترددن هنا بضع مرات وهذا كل ما هناك .

بيسلى : لمـــاذا لا تكفين عن صخبك اللعين ؟

فوبيـــا : انه لا يجب أن أتحدث فى الأمر ، كما لو كانت تجهل ما يجرى هنا طول الوقت .

بيسلى : ومع هذا فليس من سبب يدعو الى التحـــدث فيـــه .

فوبيـــا : انها ليست بلهاء ، أأنت كذلك ياعزيزتي ؟

بيـــلي : لا أحب أن أسمع شيئا عنه ، ولا أظنها تريد .

فوبيـــا : وهو كذلك . وهو كذلك .

بيـــلي : لقد دَرَجتْ على مصاحبة النـــاس المهذبين . انها لا تود أن تسمع عن متاعبك .

فوبيـــا : لا بالطبع ، انها لا تريد .

بيـــلي : فليكن اذن ... ان عيبكم أيهـــا النـــاس أنكم لا تعرفون كيف تتصرفون على الوجه الصحيح، هذا عيبكم . اعطِ الفتاة فرصة فلديها حياتهـــا الخاصة لتحياها .

فوبيـــا : كل ما أردت أن أقوله لها ....

بيـــلي : وأنا أقول لك لا . ما من شيء تستطيعين أنت أن تقوليه لها . ولذا كفى عن صخبك ...

جـــين : جدى ، أرجوك ...

بيـــلي : لمـــاذا لا تعودين الى لندن لأصدقائك ؟

جـــين : فلنترك الجدل ...

بيـــلي : اننا لا نصلح لك ...

جـين : ما أظن أننى أريد العودة الى لندن ...

فوبيـا : انما كنت أتحدث اليها عن آرشى . أنت لاتودين السفر ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

جـين : بالطبع لا أود ...

فوبيـا : انما أردت أن أقول فى معرض الحديث العادى أن آرشى لم يكن محظوظا ، هذا كل مافى الأمر .

جـين : هيئـا ... (تضع زجاجـة صـغيرة من الچن على المـائدة) .

فوبيـا : واذا كنت قد ذكرت النسـاء فلمجرد أنه كان نفس الشيء معهن ، وما اهتممت لهذا أبدا فى كثير ، لم يكن يعنينى أبدا بقدر كبير حتى أيام شبابى . ومع ذلك فاننى أظن الرجال على خلاف ذلك ، فانه أكثر أهميـة عندهم . أوه ، أنظر ماذا فعلت !!

جـين : أعتقدت أن الأفضل أن أحضر شـيئا منه اذا ما تأخر أبى .

بيـلى : ماذا تظنين انك مفروض أن تكونى ...مليونيرة؟

جـين : ولكنك لن تشربى شيئا حتى تتنـاولى بعض

الطعام ، فأنت لم تأخذى غير الشاى والسجاير منذ أيام .

فوييـــا : لا أستطيع آكل أى شىء يا عزيزتى ، شرفاً .

جـــين : سأحضر لك شيئا .

فوييـــا : لا ، لا أستطيع ، لا أستطيع ... وفرّيه .

جـــين : (تتحرك) لن أناقش ...

فوييـــا : چين ، لقد رجوتك ... لا أستطيع . لا أريد شـــيئا .

جـــين : ولكن على الناس أن يأكلوا يا عزيزتى . اذا لم تتناولى شيئا ...

فوييـــا : (ضحكة خفيفـــة) تقول ان على النـــاس أن يأكلوا . هذه نكتة حلوة .

جـــين : انك لاتستطيعين أن تستمرى على هذا ياعزيزتى .

(ينهض بيلي وهو يهمهم بأغنية الصخرة ويذهب نحو اليسار) .

فوييـــا : على الناس أن يأكلوا . هذا ما قالته فهل سمعته ؟ أين ذهب ؟

جـــين : ذهب الى المطبخ .

فوييسا : ليس هذا هو كل ما عليهم أن يفعلوه . ان عليهم أن يفعلوا الكثير من الأشسياء التى ليس لديك حتى مجرد العلم بها ، والتى لا علاقة لها بأن تكونى متعلمة أو ما أشبه ذلك . ولماذا تحيطين بها ؟

جين : أعلم يا حبيبتى أن الظروف أصبحت صعبة ، ولكن كونى عاقلة ، عليك أن تثابرى .

فوييسا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة ياچين .

جين : آسفة يا عزيزتى . لم أقصد أن ...

فوييسا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة . انك فتاة حلوة يا چين وأنا جد مغرمة بك . ولكنك حتى لست ابنتى . لن أقبل هذا من ميك أو فرانك مع أنهما ولداى .

جين : وهو كذلك ، فلتنسيها . لم نشرب نخب ميك حتى الآن .

فوييسا : لا ... لا تبالغى فى الافتراضات .

جين : فوييا ، أرجوك ... أنا ...

فوييسا : لا تبالغى فى الافتراضات . ما الذى يفعله هناك ؟

جـين : لعله يحضر لنفسه شيئا يأكله على ما أعتقد .

فوبيـا : لا أريده أن يوقع الفوضى هناك . انه يعـلم أنى لاأحب أن يذهب الى هناك . انه يترك كل شىء فى حالة فوضى كبيرة .

جـين : هيا ، خذى هذا .

فوبيـا : لـماذا لم يعد آرشى ؟ أليس المفروض أن يعود الى هنا نيحتفل بعد ما سمع أن ابنه بخير وأنه فى طريقه الى الوطن ؟ اننى لا أفهمكم ... أيهـا الناس ...

جـين : هيا يافوبيا ، لاتدعينا ندخل فى شجار ، ومن أجل لاشىء ... هذه حماقة .

فوبيـا : انها ليست حماقة . ومع هذا من الذى قال اننا فى شجار . كل ما قلته هو أننى لست جائعـة ، فثرت على .

جـين : لم أثر عليك .

فوبيـا : أيها الناس ... انكم جميعا سواء .

جـين : صدقينى يا فوبيا . أنا لم ....

فوبيـا : لا أستطيع أن آكل لأننى أحس بالغثيان .

جـسين : حسنا ، انتهى الأمر اذن .

توبيـــا : أنت لا تعرفين ما هى المسألة . أنت لا تعرفين ما هى المسألة لأننا حاولنا أن نفعل بك أقصى ما نستطيع . أوه ، لقد حاول آرشى أن يفعل بك أقصى ما يستطيع ولو أن ذلك لم يوصـــل الى الكثير ، لا لأنك لم تكونى فتـــاة طيبة ، فلقد عملت بكل جهدك واستحققت النتيجـــة ، حاولت على الدوام ونلت الثمرة وهى أكثر مما حصل عليه أى منا يا عزيزتى . فأنت الوحيـــدة التى نجحت بيننا . أنت وميك الصغير والرجل العجوز طبعا . لقد نالها . لست أعنى أن لهـــا فائدة عنده الآن . فما هو الا قطعة من المـــاضى على ما أعتقد . ومع هذا فلأن يكون المرء قطعة من المـــاضى خير من ألا يكون أبدا . وكذلك ابنه الآخر ... بيل الكبير ... أخـــو آرشى . لا تظنى أنه أصبح ماضيا ، فهو شخصية كبيرة حقا الآن . انه شخصية كبيرة حقا . لا شائبة على الأخ بيل .

جـسين : (محاولة تغيير الحديث) انه محـــام ... ولذا فأنت تحبينه كثيرا . انه يشـــبه ممثل السينما

ذلك الذى يظهر دائما بشـــعر مستعار ورداء فى كل ...

فوبيـــا : أنا أحبه لأنه سيد مهذب . انه مختلف عن أبيك حتى وان كانا قد ذهبـــا الى نفس المدرســـة وما إلى ذلك . أحبه للطريقة التى يعاملنى بها . انه يتحدث الى فى لطف . والطريقة التى ينادينى بهـــا « فوبيـــا » ، يجب أن تسمعى طريقته فى مناداتى « فوبيا » .

جـــين : لم أره غير مرتين .

فوبيـــا : نعم رأيته بالطبع . لم يوافق على الطريقة التى سار عليها آرشى . لم يوافق عليها أبدا . كان فيما مضى يحضر أحيانا لزيارتنـــا وكان دائما يضع فى يدى ورقتين من ذوات الخمسة جنيهات قبل أن يخرج قائلا « لا تقولى كلمة لآرشى » وكنت أحار كيف أجيبـــه . كنا نسكن دوما فى بيوت حقيرة ، ولم أكن أحبه أن يجىء . كنت أشـــعر بالضـــعة . لم يستطـــع أبدا أن يحضر زوجته ولم أعرف أبدا ماذا أقول . وبعد هذا تشـــاجر هو وآرشى حـــول شىء كان آرشى يفعله ، اما أضاع ماله أو فقد عمله . وأذكر أنه

جاءنا مرة وكنت أنا وآرشي لا نملك حبة ، كنا نعيش على قطع من لحم الخنزير نشتريهـا بنس من الجزار ، وعلى ما كنا نحصل عليـه اذ ذاك من المحكمة (تخطىء فى نطقها) وكنت والأولاد تعيشون مع الرجل الكبير وقتهـا . كان آرشي يأبى أن يأخذ نقودا من أبيـه اذ ذاك ... ربما بسبب غيرة المهنـة ، لا أدرى . على أى حال علم بيل أن آرشي وقع فى شـدة مرة أخرى لا أذكر ماذا كانت ، ولكنه كان أمرا خطيرا هذه المرة على ما أعتقـد ، اذ حاول أن يصرف شيكا مزورا أو شيئا من هذا القبيل . أنا أسلم أن آرشي لم يكن ليفعل مثل هـذا لأنه لم يرتكب طول حياته عمـلا منافيا للأمانة من هذا النوع . مهما تكن بقية أعماله . لا بد أنه كان سكران . على أى حال جاء بيل الكبير، وكنا نعيش فى بركستون وقتئذ ، وعبث الأولاد الذين كانوا فى الشارع عبثا مريعـا بسيارته ، فما كانوا يرون فى ذلك الشـارع كثـيرا من السيارات ، اللهم الا سيارة الطبيب . لم ينطق بكلمة . عندما ذهبنا الى الباب ورأيت ماصنعوه بها تسمرت قدماى ، وشعرت بأشد الخجـل

وانفجرت باكية . فربت على ذراعى بطريقته وقال لى « أنا آسف جدا يا فوبيا . آسفه حقا . وأخشى أن تظل الأمور كذلك على الدوام » . على أى حال لقد أنقذ آرشى من الورطة التى كان فيها ، وهذا ما كان . ليست النقود ولا مساعدته لآرشى — مع امتنانى لهذا بالطبع — هى المهمة ، بل الطريقة الهادئة المهذبة التى كلمنى بها . والطريقة التى ربت بها على ذراعى .

جين : نعم ليس هذا بمستغرب منه .

فوبيا : ماذا تقصدين ... ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جين : أوه لاشىء ياعزيزتى . فلنكف عن الكلام فيها...

فوبيا : ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جين : أوه ، مجرد أننى أستطيع أن أرى الأخ بيل يربت على ذراعك ، ويضع تلك الجنيهات العشرة فى يدك ، ثم يذهب فى سيارته ليتناول العشاء فى ناديه . هذا كل ما هنالك يافوبيا . والآن فلنكف عن الكلام فى الأمر نهائيا .

فوبيـــا : أتقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى ، أليس كذلك ؟

جـين : لا ، لا أقصد هذا .

فوبيـــا : هيا ، قوليها ... تقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى أليس كذلك ؟

جـين : لم أقل هذا ، ولم أقصد هذا . والآن هيا ...

(يدخل آرشي وفرانك . فرانك ولـد شاحب خجول فى التاسعة عشرة تقريبـا وقد سمح لنفســه أن يقوم بدور مرافق آرشي لمـا يبـدو فى هـذا من دفء ومن علاقة معقولـة تناسب كليهمـا . وهو عاطفى مملوء بالحنان الذى يفيض بسهولة وهو صغير ولعله سوف يظل كذلك) .

فوبيـــا : أريد أن أعلم ماذا كنت تقصدين .

آرشى : يا عزيزتى ، لا يستطيع النـاس أن يقولوا لك ماذا يقصدون . كان يجب أن تعرف ذلك الآن .

فوبيـــا : أقفل فمك لحظة يا آرشى ... أنا أكلم جين وهى تعلم ما أقصد . أنت تعلمين ما أقصد ، أليس كذلك ؟

آرشى : هل تعلمين ما تقصد ؟ أرجو من الله أن أعلم .

(لفرانك) أرى أنه كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنـــا .

فوبيـــا : هل أخبرك بشيء ؟

جسين : فوبيا ، ماذا أنت فاعلة ؟

فوبيـــا : هل أقول ؟

جسين : كل ما فى الأمر اننى أعرف بالضبط كيف ربت عمى بيل على ذراعك ... بنفس الطريقـــة التى كان يعامل بهـــا الجنود فى الكريستماس عندما كان فى الجيش . وكم هو ديمقـــراطى ، وكم هو لطيف ، وكم هو انجليزى .

آرشى : أوه ، بيل لا غبـــار عليـــه . وانما هو لا يفهم أمثالنا من الناس ، وهذا كل ما هنالك . وأكثر من هذا أنه لايريد . ولا لوم عليه فى الحقيقة .

فوبيـــا : (لجين) انك لا تحبينه ، أليس كذلك ؟ أنا أعرف أنك لا تحبينه .

آرشى : كمثـــل هذا . أوه ان أخى بيل لايستطيع أن يفهم هذا أبدا ، سيتضايق بشكل مريع ، أليس كذلك ؟ ناولنى هذا الحامل يا فرنكى يا حبيبى.

فوبيـــا : انك لاتسطيع أن تحبه ،فانت مدين له بالكثير .

آرشي : أرانى مضطرا لأن أقول ان هـــذا سبب كاف جدا لعدم حب أى انسان .

فوبيـــا : انه شيء لن يمكن أن تكونه .

آرشي : وأنا شيء لن يمكن أن يكونه ... بيـــل الطبيب الكبير . قد يكون ناجحا ولكنـــه ليس من النوع الرديء . هـــل تعلمين أن أخى بيـــل له زوجة واحدة ، ولم تكن له علاقات غرامية ، وله ثلاثة أطفال لطاف موهوبون ، حصل اثنان منهم على درجات مرتبة الشرف فى كامبريدج وانهم جميعا حققوا ما يسميه الناس زيجـــات ناجحة جدا .

فرانك : أى شيء على وجه الأرض هذا الذى تتحدثون فيه جميعا . هالوچين حبيبتى . ظننت أننا سنقيم مأدبة .

(يلقى ذراعيه حولها ويقبلها) .

آرشي : هذا حق جدا . لقد قرأتها فى صحيفة التلجراف اليوم . لقد مللت من طـــول ما قرأت عن ميك الصغير ، وهناك فى الوسط ...

جسين : (بتطلع) لا تقل انك قرأت ....

آرشى : بالطبع قرأتها ، وهل من وسيلة أخرى لأعرف أن أقاربى تزوجوا أو توفوا أو أنجبوا أولادا .

فرانك : كما كنت أقول ...

فرانك : قبل أن تقاطع بهذه الغلظة .

(يقبل جين بحنان مرة أخرى) .

آرشى : نعم قبل ذلك . سونيا الصغيرة تزوجت .

جسين : ممسن ؟

آرشى : أوه ، ابن أحد رجال الصناعة الكابتن « تشارلى رد الفعل الخلفى المزدوج ـــ شرطه ـــ تحميل الكسور ـــ جـور ، مـن ألم لودج ، شروكيسبرى ـــ جلوسستر » . أين جميع الأكواب بالله عليكم ؟ ياليل الطيب العجوز ، لقد حصل على كل ما يبتغيه الآن بما فى ذلك الكابتن « تشارلى رد الفعل الخلفى المزدوج جور » .

فوبيا : آرشى ، انى أكلم جين .

آرشى : نعم ، أظن أن هذا ما كنت تفعلين . وانما لخصت الموقف فى لمحة .

فوبيـــا : أوه ، من السهل على النـــاس من أمثالك أن يمزحوا . لقد تركت المدرســـة وعمرى اثنـــا عشر عاما .

آرثى : وحق المسيح ، لو قالت لى هـــذا مرة أخرى فسأصعد الى السطح وأصرخ . لم أفعل هذا أبدا من قبل .

فوبيـــا : كانت المصروفات ست بنســـات فى الأســـبوع اذ ذاك .

فرانك : اتركها وشأنهـــا يا ابن الحرام العجوز . هيـــا يا ماما ، سنقيم مأدبة .

فوبيـــا : انى أكلم چين .

آرثى : نعم ، لقد دخلنا على هذا . ولكن لمـــاذا لانكلم چين جميعا . اننا لانراها كثـــيرا . فرانك ... كلم چين .

فرانك : بابـــا ....

(يومىء نحو فوبيا مبتئسا اذ يراهـــا على تلك الحـــال ولكن آرثى الذى جـــاء متأهبا لأن يكون مرحا قد تعب وبدأ يتخلى عن الموقف) .

آرثى : فلنشرب كأســـا أولا . اذا أريد لى أن أكون

دبلوماسيا جدا أو كيسا جدا فلابد أن أشرب الكثير أولا .

فوبيـــا : كان علينا أن ندفع ستة بنسات فى الأسبوع ، وفى معظم الأسابيع لم تكن أمى تجدها ...

آرشى : هذه دولة احسان يا حبيبة قلبى . ليس فيهـــا محتاج ولا من ليس معه . الكل مكفولون .

فوبيـــا : كنت خارجة أكنس حجرة طعام ل ...

آرشى : كلنا على ما يرام . ميك الصغير على ما يرام ؛ وبيل على ما يرام . انه لم يترك نفسه يدخـــل السجن على يد حفنة من الخنـــازير . وفرانك على ما يرام ... لن يوقد الغلايات بعد هذا ... أليس كذلك يا ولد ؟

فرانك : أريد أن تسكتا كلاكما .

آرشى : وجين على مايرام . ستتصالح مع جراهام وتنسى حماقة ميدان ترافلجار ورؤساء الوزارات الذين يشبهون الكلاب تحت الدَرَج . اليك هـــذا يا عزيزتى . (يقدم كأسا لفوبيا) .

فوبيـــا : أنت لاتفهم ....

آرثى : بل أعلم . كانت فوبيــا تكنس حجرة طعــام خمســـمائة طفل وهى فى سن الثانيــة عشرة . أليس كذلك ؟

فوبيــا : أوه ....

ارثى : أليس كذلك ؟ هل عند أى واحد منكم فكرة كم مرة حكت لى عن هؤلاء الخمسمائة طفــل وعن حجرة الطعام هذه .

فرانك : أوه . اسكت .

آرثى : أجل يابنى . سأسكت . ناول هذا لچين . تبدو كما لو كانت قادرة على تناوله .

(يقوم فيعطى كاسا لجين ويظل واقفــا بجوار الكرسى الذى عند الباب الأيسر) .

جــين : أقــدر .

فرانك : كنت غائبة عنا زمنا طويلا . فكل ليلة هى ليلة احتفال .

آرثى : أو تدرين لمــاذا ؟ أتدرين لمــاذا ؟ لأننا موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ، كل مجموعتنــا المحترقة . نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بهــا

أحد أبدا . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شيء يتندر به النـــاس لأننا أبعـــد ما نكون عن الحياة اليومية العـــادية للبشر . وليس فى هذا ما يبعث على المتعة بل هو باعث على الملل لسبب بسيط هو أننا لســـنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض . نحن لا نماشى أى شيء . نحـــن لا نوفق أبدا فى أى شيء . نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنـــا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة . مثل هذا الشيء المسكين الكريه العتيق الذى هناك . أنظرى اليها . ماذا تستطيع أن تفعله مع انسان مثلك ؟ انسان ذى ثقـــافة وفلسفة . لقد أفقدتها الخمر صوابها وبدأ عقلها الغائب المتخلف الجامد يعدو لأن مجرى دمها ملىء بالكحول الذى لا أملك أن أقدمه لها . وسوف تفرض علينا أن نصغى لكل نوع من التفاهات المعجوجة التى سمعناها مئات المرات من قبل . انها تزحف نحو الشيخوخة فهى قلقة عمن سيتكفل بها حين تعجز عن العمل ، وهى خائفة من أن تنتهى الى صندوق طويل فى مدفن

شخص غريب في جينشهد أو لعلها وست هارتلبول ؟

فوبيا : عم يتكلم ؟

آرشي : ستقول لك ان أخي الكبير بيل دفع جميع نفقات تعليمك . هذا ما تريد أن تقوله لك يا جين ، وأن المنحة الدراسية لم تتكفل بالأشياء ذات الأهمية الحقيقية كالكتب والانتقالات والملابس وسائر البقية . كل هذا دفعه بيل لكم جميعا . وفرانك يعلم هذا ، أليس كذلك يافرانك ؟ آسف يافوبيا . لقد أحرقت حكاياتك . ان آرشي العجوز يستطيع أن يحرق كل ما في جعبة أي مهرج من الحكايات ان شاء .

فوبيا : انها لا تعلم شيئا عن ميك أو عنك أو عني . أعرف أنها لا تعلم .

آرشي : سوف تكتشفه . كلنا نكتشف هذه الأشياء بمرور الوقت (لفرانك وجين) لقد تعبت وأشرفت على الشيخوخة . تعبت ، وتعبت مني . لم يمنحها بشر طول حياتها قدر بنسين من الذخر اللهم الا شخصها التافه الذي لا تستطيع تقديم

أى شىء غيره لهذا العالم . كل ما أعطى لها هو أنا ، وبالله ، لقد تعبت من ذلك !! أليس كذلك يا حبيبتى ؟ ألم تتعبى من ذلك ؟ .

فوبيـــا : (بعنف) لقد حاولت أن أصنع شيئا من نفسى. حاولت . حاولت يقينا . لم أكن على كثير من جمال المنظر ، ولكننى جعلت نفسى ما كنت . كنت طفلا عاديا ... لا لم أكن . لم أكن حتى هذا . كنت أكأب طفل قذر رأيته فى حيـــاتك . لم يقع بصرك أبدا على أحد أشد قبحـــا مما كنت ، ولكننى صنعت شيئا من نفسى . حاولت أن أصنع شيئا . جعلته يريدنى على كل حال .

فرانك : كلكم تتصـــايحون !! من فضلكم ، فليتكلم أحدكم بهدوء مرة واحدة . ســـيكون هؤلاء البولنديون الأقذار هنـــا فورا . فلنتعـــارك . يبدو أننا سنتعارك على أى وجه . ولكن ألا يمكن أن نتعارك فى هدوء من فضلكم !!

آرشى : كان ذلك منذ زمن بعيد . انهم يعلمون أنه كان من زمن بعيد . (لفرانك) أرجو أن تكف عن الصـــياح ، انى لا أستطيع أن أسمع صـــوت

سراخي . غن لنا احدى أغنياتك . هيا أيها الولد اللطيف . أين الرجل العجوز ؟

جـين : في المطبخ ؟

فرانك : بيلى ، تعال هنا . ماذا يفعل هناك ؟ شيء سرقته من محل الكامبريدج ؟ ألم تجده أبدا على منضدة المطبخ ، كقطعة من اللحم على (قورمة) أو تقطيع شرائح من فخذ الخنزير . (لجين) ألست راغبة في العودة الى جراهام ؟

فوبيا : فرانك ، انه سيحضر احدى النساء ، أليس كذلك ؟ سيحضرها هنا ، أليس كذلك ؟

آرشى : اتركها وشأنها يا بنى .

(يجلس الى اليسار على الكنبة المجاورة للباب الأيمن) .

فوبيا : ألا تعلمون انني أنام متيقظة فوق وأسمع مايجرى ؟

آرشى : بالطبع يعلمون . انهم يعلمون أى نوع من أولاد الحرام أنا يا حبيبتى ، أظن انهم يعلمون تقريبا . نعم ، كما تعلمين تقريبا ، ستكون على ما يرام ، اليس كذلك يا حبيبتى ؟ أين الرجل العجوز ؟

(لفرانك وچين) والآن لا تزعمـوا أنـكم لم تتعودوا هذا .

(يظهر بيلى) .

ها أنت أيهـا المـاضى العجوز . هل أحضرت لنا شريحة من فخذ الخنزير ؟

بيـلى : ما الذى جرى لكم جميعا ؟

آرثى : اننـا جميعـا ننتظر مجىء العـربة الصـفراء الصغيرة ...

بيـلى : هل أحضرت سجايرى ؟

آرثى : فيما عدا چين ما زال هناك أمل فيها . انتظر أيها العجوز ، ستقرأ فى القريب عن حفيدتك والمستر جـراهام شيء من ألم لودج فى شرق كـبرى جلوستر . هيا خذ .

(يرمى السجاير لبيلى ويقدم له كأسا) .

فوبيـا : كنت تأكل من الكعكة .

بيـلى : مـاذا ؟

فوبيـا : كنت تأكل من كعكتنى . كنت تأكل من كعكتى، اليس كذلك ؟

بيــلى : (متجهما) كنت جائعا ...

فوبيــا : تلك الــكعكة كانت لميك . كانت لميــك ولم تكن لك .

بيــلى : آســـف ...

فوبيــا : لقد اشتريتهــا من أجل ميك . كانت له عنــد ما يعود الى البيت .

آرشى : حسنا لا بأس .

فوبيــا : ماذا تعنى ... بقولك لا بأس ! !

آرشى : ميك لن يهتم .

فوبيــا : ولكننى أهتم . أنا لا أريد أن يدخــل هــذا المطبخ . قــل له أن لا يدخله . انهــا ليست بالشىء الكثــير ، وهى ليست لى ، ولكننى أهتم بها جدا ، لمــاذا لم تتركها وشأنها ؟

بيــلى : لقد تصورت ...

فوبيــا : ألم تستطع أن تتركها وشأنها ؟ انهــا لم تكن لك . ماذا جــرى لك ؟ اننى أطعمك ، أليس كذلك ؟ لا تظن أنك تعطينى مبلغا كافيــا من المــال كل أسبوع ، لأنك لا تفعل هذا .

أرشي : فوبيا ، انس هذا الموضوع .

فوبيــا : لن أنساه ، لن أنسى شيئا . لن أنسى شيئا حتى لو نسيت أنت .

آرشي : حسنا ، اشتر واحدة أخرى .

فوبيــا : آه ، ستشترى أنت واحدة أخرى ، فانت غنى جدا . انت ناجح نجــاحا عظيما . ماذا تكون كعكة صغيرة ... سنطلب دستة منها !! لقــد اشتريت هذه الكعكة وكلفتنى ثلاثين شــلنا . كانت لميك عندما يعود لأنى أريد أن أقدم له شيئا ، شيئا أعلم أنه سيسر به بعــد أن كان حيثما كان وقاسى ما قاسى . والآن فان هــذا الخنزير الشره القذر العجوز ــ وكأنما لم ينل كفايتــه من كل شيء ــ يذهب فيغرس أصابعه الغليظة فيها .

(تعجز عن تحمل هــذا فتنفجر باكية . بيلى يقف خجلا فى شــدة الألم مما قالتــه رغم أنه يدرك فى غير وضوح الحالة التى هى فيهــا . يضع الكأس الذى كان يشربه والسجاير) .

بيــلى : معذرة يا جين .

(يتجه الى غرفتــه ويخرج) .

فوبيــا : ليس عندك من سيحضر الليلة . أليس كذلك ؟

آرشى : أظنه أخذ أكثر من أى واحد منـا ، وتمتع بما أخذ . حظ سعيد له . ومع ذلك ما كان لك أن تفعلى هذا . لا ، لن يحضر أحد .

فوبيــا : أوه ، آسفة يا آرشى . حاول أن تسامحنى ...

آرشى : ليس معنى هذا اننى لا أريد أن يكون هنـاك من يحضر . ولـكنك ستعلمين حينئذ . هيا يا حبيبتى ، تمالكى نفسك . هذا ما كان ينبغى أن نفعله منـذ سـنين . ان تتمالك أنفسنا . فلنتمالك أنفسنا . (يغنى) فلنتمالك أنفسنا ، أنفسنا ، أنفسنا ، فسنكون أسعد حالا * .

فرانك : هذا حق أيها الشباب... تذكروا اننا بريطانيون.

آرشى : هذا ما يفعله كل منا . انه بسيط جدا . لقـد عرفته على الدوام . هذا ما كان أخى الكبير بيل يقوله لى دائما ... والآن فلنملأ كؤوسنا ونسعد. ماذا عن ميك ، اه ؟

---

* الأصل : Let is pull ourselves together, together etc.

ا يريد به الكاتب معارضـة الأغنيـة المشهورة

(The more we are together, together, together, the happier we shall be).

فرانك : نعم ، ماذا عن ميـك . لا يستبد بك الحـزن هكذا يا جين . انت تعلمين ما نحن عليه .

جـين : أحقـا ؟

آرشي : لا بأس ، فمـا من سبب يدعوها لأن تحزن ، على حد قول فوبيا . كلنا منقبضون قليـلا ، وهذا معناه أننا أبعد قليلا عن الانسانية ممـا اعتـدنا أن نكون . (لفرانك) أليس هـذا صحيحا يا حضرة وقاد الغلايات العظيم . أراهن أن المرضى فى ذلك المستشفى قد تجمدوا جميعا حتى الموت ... لا بد أنه وفر الألوف على هيئة التأمين الصحى .

فرانك : (لفوبيا) هل تحسين انك على ما يرام الآن ؟

فوبيـا : لعل جين لا تريد أن تأخذ كأسا ، أو تعلم لماذا ؟

آرشي : لا . لمـاذا ؟

فوبيـا : لانى لا أظن أنهـا تكن له حتى مجرد الحب . لا أظنها تحب ميك .

آرشي : ما من سبب يدعوها لحبه . ولكن هذا لا يمنعها أو يمنعنى . فرانك ، ادخل وتكلم مع الرجـل العجوز واحمله على العودة (يتجه نحو عقـد

الباب الأيمن) سنحاول أن نكون عاديين قليلا ولو مرة ، وتتظاهر بأننا أسرة سعيدة محترمة مهذبة ، اكراما لميك.فانى لأظن ـ كما تعلمون ـ أنه يحب ذلك حقا من وجه ما . أنا واثق من أنه يعتقد اننا فى منتهى الفظاعة ، ألعن من الخنازير فى الواقع ، لا تبتئسى يا چين فلن يكون عليك أن تصمدى لمثل هذا طويلا ... أكثر من ميك . وهذه حفلة ميك . فوبيا ، هيا فلنشاهد شيئا من رقصك (يلقى بهذه العبارة بطريقته المعتادة العرضية المدروسة) انها تجيد الرقص ، أليس كذلك أيها الشيء المسكين العجوز . انى لأتساءل هل ستحملنى على البكاء الليلة . سوف نرى . يا فرانك غنّ لنا أغنيتك .

جين : أنا لا أعرف حتى كنه احساسى ، أو حتى اذا كنت أحس أبدا .

آرثى : لا بأس يا عزيزتى . أنا كذلك لم أعرف هذا منذ سنين . لقد توفاك الله منذ زمان طويل يا مسز ميرفى ، فلنجعلها احتفالا . ان ميك الجندى عائد الينا ، فلنعلنها بأعلى صوت .

(ستار)

(٧)

(موسيقى — يظهر آرشي ووجهه مشرق بابتسامة مصطنعة ، جامد وراء عينيه . ومن آن لآخر ، ولمدة ثانية او ثانيتين ، يبدو عليه بشكل طفيف جدا انه مندهش تقريبا اذ يجد نفسه حيث هو) .

آرشي : اسمعوا اسمعوا اسمعوا . لقد رأيت لتوى رجلا بليمونة ملتصقة بأذنه . ليمونة ملتصقة بأذنه . فذهبت اليه وقلت له « ماذا تفعل بهذه الليمونة الملتصقة بأذنك ؟ » فقال « أتعرف ذلك الرجل الذي يستخدم السماعة ... أنا الرجل الذى يستخدم الليمونة » . أشكركم على ما صدر منكم من تنفس عميق . كان ينبغى أن تسمعوا ماذا قال جيمس أجيت عنى . (راجعا) ولكن عندى صبر يا سيدتى أليس كذلك ؟ عندى صبر . نعم . تظنوننى موجودا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، أنا لست موجودا . ولكنه موجود . هيا هيا . هل حكيت لكم حكاية الزوجة ؟ هل حكيت ؟ زوجتى ... انها ليست غبية فحسب ، ليست غبية فحسب ، بل انها باردة أيضا . أوه

نعم ، باردة . قـد تبدو جميلة ولكنهـا امرأة شديدة البرود ، زوجتى . باردة جـدا . باردة كان من المتعين أن تكون حقا انسانا له اعتباره . وغبية . انها ما يسمونه « مارون جلاسـيه » . لا تصفقوا بشدة فالمكان قديم جـدا . حسنا ، عندى صبر ، أليس كذلك ؟ نعم ، عندى صبر . أنظروا الى ... كله حقيقى كما تعلمون . أنا ... كلى حقيقى ، لست خيـالا . لا تعتقدون اننى حقيقى ، أليس كذلك . حسـنا ، أنـا لست حقيقيا . (يتعثر) لن أحرمكم من المتعـة التى أعلم انكم تنتظرونها جميعا . نعم سأغنى لكم . سأغنى لكم أغنية صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها بنفسى . لم أسجلها ولهذا فاذا أعجبتكم قولوا لهم. انهم لن يصغوا اليكم ولكن قولوا لهم.أغنية صغيرة اسـمها « فتاتى مقطوعة الأنفاس دائما ولكنها لاتمانع فى اعطاء ضربة قوية » . (يغنى)

الآن ما أنا الا انسان عادي
مثلك انت هنـاك
لست مفتونا بالنساء ، لست زير نساء
لا أهتم بهن حقا أبدا
أنا ما تسميه معتدلا ،

أزن كل ما للأمور وما عليها .
أنا لا اضغط وأقلب
فى ذلك الشيء الذى يسمونه الحب
أنا لا أدخل أبدا من أجل الدخول .
أحمد الله اننى عادى ، عادى عادى .
أحمد الله اننى عادى .
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
أحمد الله اننى عادى ،
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
مهذب وحكيم ،
أنا لست واحدا من المثقفين المتزمتين .
لأننى واثق من أنكم ستوافقون
على أن انسانا مثلى
هو ملح وطننا العزيز العريق .

(يسلط ضوء مناسب . يستمر) .

ولكن عندما يهدد تراثنا
فى الوطن أو عبر البحار

(تعزف مقطوعة «أرض الأمل والمجد») .

فان الشباب من أمثالنا ... نعم أنتم وأنا

هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر.
يقول بعض الناس أننا انتهينا ،
يقول بعض الناس اننا أصبحنا فى خبر كان
ولكننا لو وقفنا جميعا

(الأضواء تكشف وراء الستار الخفيف عن فتـــاة عارية تحمل على رأسها خوذة بريطانيـــا وتمسك كلبا من نوع البولدوج وحربة مثلثة الطرف) .

الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة
فان المعركة ستكسب .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون.
أحمد الله اننا عاديون .
نحن زهرة الوطن
وعندما يجىء النداء الأكبر
سيطل علينـــا
من يقول : انهم لم يحدثوا هرجا ـــ
لأن هذا كان أجمل ما أمطرتهم السماء .
نعم كان هذا أجمل ما أمطرتهم السماء .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون،
أحمد الله اننا عاديون .
نعم هذا أجمل ما أمطرتنا السماء .

(يخرج آرشى)

(٨)

آرثى : ستسرق سراويلك وتبيعها كمنافض .

فرانك : من ؟

آرثى : مسز روبرتس ، رقم ٧ كلايبث لين ، كانت تقول هذا دائما

فرانك : عمن تتكلم أيها الكلب اليمينى القذر العجوز .

فوبيا : انى أتكلم عن هذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج ، تلك التى تقلب رأس جدك على الدوام . ثم لا تسمنى كلباً يمينيا عجوزا .

فوبيا : انى أذكر مسز روبرتس ، كانت لطيفة جدا معنا .

آرثى : قد أكون كلبا عجوزا ، ولكنى لست يمينيا .

فرانك : هذا لمدخنى السيجار فقط من أمثال جدى . (يرقص) « أوم ، طرف سيجارى القديم ، سيجارى . طرف سيجارى القديم . أدرتهم ولمستهم بطرف سيجارى القديم . طرف سيجارى القديم ، سيجارى ... » .

آرشى : كان فى مدرستى شاب يسعى الى دخول حكومة العمال ، وكانوا يقولون عنه دائما انه من يسار الوســط . ثم دخل مجلس اللوردات فجعلوه سماكا محترما . نعم فهذا ما يعطى يسار الوسط تقريبا ، أليس كذلك ؟

فرانك : أنت تعلم انك لا تعلم عم تتحدث .

بيسلى : كان من عادتى أن أستأجر جحورا فى كلايبت لين ... عشر شلنات فى الأسبوع شاملة .

فوبيـــا : فرانك ، أظن أنك كنت تستغنى .

آرشى : لو اســتطعتم أن تتجنبــوا كل الكليشيهــات المتساقطة من السقف كالوطاويط لأمكنكم أن تظفروا بشىء منى .

فرانك : حسنا ، لقد استطاع كثيرون غــيرنا أن يظفروا به منك .

آرشى : تذكر على الأقل اننى أبوك .

فرانك : ومتى تذكرت أنت هذا ؟

فوبيـــا : فرانك ، هيا فلتكن ولدا طيبا .

آرشى : انت تريد أن تكون مثل جين ...

فرانك : أنهـا لم تعـد متعودة علينـا . أليس كذلك يا حبيبتي ؟

(يضع ذراعه حولهـا) .

جـين : انى على ما يرام .

فرانك : أحقا ؟ أراهن أنك نسيت كيف كان حالنـا ، أليس كذلك ؟

فوبيـا : انها لم تنس بالطبع . انها لا تنسىْ بمثل هـذه السهولة . أتنسين يا عزيزتى ؟

جـين : لا ... لا أظن ذلك .

فرانك : (لفوبيا) أتشعرين بتحسن ؟

فوبيـا : نعم ، أشكرك يا عزيزى . تعال هنـا واعطنى قبلة . (يفعل ذلك) انه ولد طيب معى . ألست كذلك يا عزيزى ؟ حتى وان أسـأت التصرف قليلا أحيانا . كلنا نسيء التصرف قليلا أحيـانا على ما أعتقد .

آرشى : ما عدا جين ...

جـين : هـلا تفضلت بالكف عن محـاولة جعلى أشعر بأننى من كوكب آخر أو ما أشبه .

فوبيـــا : ان آرشي يمازحك . أليس كذلك يا آرشي ؟
لم أتناول حبوب بيتشام الخاصـــة بى أمس .
أتعلمـــين أن أمى لم تعرض نفسهـــا أبدا على
طبيب طول حياتها ، الا عنـــدما ولدتنا بالطبع ،
وكل ما كانت تتعـــاطاه هو مقـــدار بنسين من
حبوب بيتشام والبيروكسيد ونقط داتش .

جـــين : بيروكسيد ؟

فرانك : كانت تشربه كالبيرة .

فوبيـــا : نعم ، لقد عاشت حتى الثالثـــة والتسعين ولم
تكلف الحكومة بنسا واحـــدا طول حياتهـــا .
(لبيلى) هل أنت بخير ؟

بيـــلى : نعم ، أشكرك يا فوبيا .

فوبيـــا : (لآرشى) ضع شـــيئا فى كوبه يا آرشىٰ . انه
فارغ تقريبا .

بيـــلى : كنت أحاول تذكر اسم المرأة .

فوبيـــا : أى امرأة ؟

بيـــلى : تلك التى كانت فى كلايت لين . كانت تقدم لنا
فخذ الخنزير كل صباح فى الافطار وكانت تذيب
الجبن فوقه . أول مرة ذقته فى حياتى .

فوبيا : لا أحب مثل هذا الشيء كثيرا . هنا ، هل ... معذرة لمقاطعتك اذ تذكرتها الآن فقط ... هل رأيت تلك الصورة المنشورة فى الصحيفة اليوم لابنة دوقة پورت ؟

فرانك : وهل لا بد من رؤيتها ؟

فوبيا : ما كنت لأراها ، وانما كنت فى الواقع أقرأ فقط عن ميك بالطبع ، ولكنى لم أستطع اجتناب رؤيتها . كانت رائعة . هل رأيتها يا آرشى ؟

آرشى : أوه نعم . كانت بجانب الكابتن بريتش — لودنج جور .

فوبيا : ألا تعتقد أنها بديعة المنظر .

آرشى : أظن أنها تشبه فتاة البار صاحبة أبى فى الكامبريدج .

فرانك : نعم ... فى تثاقل خطاها .

فوبيا : فرانك !!

آرشى : (بسرعة) فوبيا حريصة جدا على دوقة پورت ، أليست كذلك يا عزيزتى ؟ تقول انها تعتقد أنها طبيعية .

فوبيــا : اظن فى هذا بعض الحق ، ولكن ... كانت دائما موضع اهتمامى . آوه ، منذ أن كانت صــغيرة جدا . أشعر بأنهــا جميلة جــدا من وجــه ما (سكوت) (لآرشى) هل هو بخير ؟ (مشيرة الى بيلى) .

آرشى : انه على ما يرام ؟ أنت بخير ، أليس كذلك ؟

بيــلى : كانت دائما تضع الجبن على لحم الخنزير .

آرشى : أنه يفكر فى صاحبة البيت فى كلاييث لين . أتعلم أن فتــاة البــار التى فى الكامبريدج تذكرنى بانســان ... (لجين) سيهمك هذا لأنه من حديث رؤساء الوزراء والكلاب ... كان ايرلنديا وكان يقــوم بدور ترامبولين وكانوا يسمونه ليــدى روزى بوتوايز . والواقع أنه كان ولدا شديد التدين . وقد ترك كل ذلك فيما بعد واشتغل بالملاقات العامة أو شىء ما . الشاهد أن روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ، وكان يستطيع أن يستمر عشر دقائق دون أن يتوقف ليتنفس ودون أن يكرر أى كلمة . كان فنانا . غير أن أقبح كلمة من أربعــة حروف فى الانجليزية أو

أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى »
وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه
على درجة كافية من السوء * .

بيسلى : أراهن أنه ايرلندى .

آرشى : هذا ما قلته حالا . حاول أن تصغى .

فوبيبا : أعتقد أن فرانك كان سيغنى .

آرشى : لو أعطيته طبقا من البطاطس الردىء الطهو لرفعه وقال « من الذى صنع هذه الشرائح الرديئة الفارغة الفارغة المتعفنة المحافظة (التورى) ؟ » .

فرانك : لقد قلت هذه الحكاية من قبل .

آرشى : سأصفعك حالا .

فرانك : سأصفعك أنت حالا ... مع أنها ليست حكاية جيدة .

آرشى : عندما تتعلم كيف تحكى حكاية مثلما أحكيها أنا ، ستكون على ما يرام ...

---

* Tory : هو الاسم التقليدى لحزب المحافظين فى بريطانيا ، وهو الصفة التى تطلق على عضو الحزب أيضا .

فرانك : لن ابدو أبدا عجوزا بالقدر الذى يحملنى على ان احكى حكاياتك .

آرشى : امن الاحسن لك أن تغنى ، أليس كذلك ؟

فرانك : وهو كذلك . وهو كذلك . سأغنى . سأغنى لجين لأنها لم تسمعنى . سأغنى احدى أغانى بيلى . انها بريطانية ...

بيلى : ما هذا ؟ أى أغنية ؟

فرانك : ودينية جدا .

بيلى : أى أغنية سيغنيها ؟

فرانك : ولذا فان فيها شيئا ما لكم جميعا .

(يغنى ويرقص) .

بعد ما هتفتم : احكمى يا بريطانيا ،
وبعد ما غنيتم : حفظ الله الملكة ،

وبعد ما انتهيتم من قتل كروجر بأفواهكم ،
ألا تعطفون فتسقطون شلنا فى رقى الصغير
لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب .

انه شحاذ شارد اللب كثير مواطن الضعف
ولكننا نحن المخبرين نأخذه كما وجدناه
لأنه ذاهب الى الخدمة العامة ، وهو يمحو
شيئاً ما من أحد الألواح .
وقدخلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة.
ابن الطاهيـــة وابن الـــدوق وابن الايرل
المتمنطق .

* * *

خمسـة آلاف حصان ورجـــل تلقت الأمر
بالسفر الى خليج تيبل .
كل منهم يؤدى عملا لبلاده ...
ومن ذا الذى سيرعى الفتاة ؟
دعوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا ،
ادفعوا ، ادفعوا .

بيــلى : دعـــوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا ،
ادفعوا ، ادفعوا .

لا بأس بالنسبة لهاو .

بيــلى : آخر مرة غنيت هذه الأغنية كانت فى حانة ، فى
مكان فى يوركشير ، اذا اشتريت فيه كوزا من
البيرة أعطوك طبقـــا من عصيدة يوركشير فى

ذلك الوقت ، به أقصى ما تستطيع أن تأكل .
كل هذا مقابل بنسين .

آرشي : دع عنك هذا يا أبى . ما قدم احد أبدا شيئا كهذا ، حتى فى أيامك .

بيسلى : أنا أقول لك انك كنت تأخذ طبقا من عصيدة يوركشير ...

آرشي : لقد خرفت فعلا من الشيخوخة .

بيسلى : به أقصى ما تستطيع أن تأكل .

آرشي : ان عقلك ذاهب يا أبى . يجب أن أجلس .

بيسلى : انى جالس .

آرشي : أصابك الوهن .

فوبيا : آرشي ، لا تشاكسه .

بيسلى : لست واهنا . لست فى نصف وهنك القذر ...
ولله الحمد (فجأة يراهم يتبسمون لمنظره)
أحمد الله انى لست كذلك ، هذا كل ما فى الأمر .
أتظن أنك تستطيع التغلب علىّ بسهولة .
اعطنى شيئا من هذا .

فرانك : حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة .
حين لاتكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك...

آرشى : اسكت لحظة من فضلك . انى أحاول أن أتذكر.
آه نعم نعم . البنت التى أحبها فوق دورة المياه،
البنت التى أحبها تنظر الى من أعلى

فوبيا : لا ، لا تغن هذه يا آرشى . لا تغنها هكذا .
(لجين وفرانك) دائما يغنى هذه الأغنية ،
أليس كذلك ؟ انها أغنيته المفضلة على ما أظن.

جسين : غنها أنت .

فوبيا : أنا ... أوه أنا لا أستطيع أن أغنى ، ولا
أعلم حتى هل أذكر الكلمات .

فرانك : هيا يا حبيبتى ، حاولى .

فوبيا : (لآرشى) هل أغنى ؟ (يومىء ايماءة خفيفة)
وهو كذلك اذن (تغنى) .

آوه الفتى الذى أحبه فى الشرفة فوق
الولد الذى أحبه يطل علىّ من عل
أين هو ؟
أنه هناك
يلوح بمنديله

سعيد كالعصفور
الذى يغرد على الشجرة .

جين : شكرا لك يا فوبيا . شكرا لك .

فوبيا : كانت رائعة جدا على ما أعتقد .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب الى فراشى .

فوبيا : من الآن ؟

بيلى : (ذاهبا الى حجرته) نعم ، انما جلست لأشرب كأسا نخب ميك الصغير . سآوى الى فراشى قبل أن يصعد هؤلاء البولنديون الأقذار الى هنا . ليلتكم سعيدة جميعا . (يردون ، ليلة سعيدة) .

فوبيا : أظن اننى يجب أن أذهب بعد لحظة . أشعر ببعض التعب . وسوف لا أذهب للعمل غدا أيضا . نعم ، ما أظنكم تتوقعون أن أذهب ، أليس كذلك ؟

جين : بالطبع لا تتوقع .

فوبيا : ولعلى مهتاجة الى الحد الذى لا أستطيع معه

نوما على أى حال . (لچين) هل أريتك الخطاب الذى تلقيته من كلير ؟

جـين : من هى كلير ؟

آرشى : (لفوبيا) أنا ذاهب الى فراشى يا عزيزتى .

فوبيـــا : دقيقة واحدة . سأقرأ لها خطاب كلير . كلير ابنة أخى ... تلك التى فى تورنتـــو . الأفضـــل أن أقراه لك فخطها ليس حسنا جدا . انها ابنـــة أخى چون . انهم جميعا هناك الآن وكذلك أخى چون . لقد بدأوا فى شغل المطاعم منـــذ أربع ســـنوات بخمسمائة دولار ... وهـــذه بنتهم الصغرى (تناول صـــورة فوتوغرافية لچـــين) والآن لديهم فندق فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـــر .

آرشى : (لچين) ليس عليك أن تبدى اهتماما يا عزيزتى . (لفوبيا) انها لا تهتم بكل زوث الخيل هـــذا عن كنـــدا .

فوبيـــا : انها تهتم طبعا ، ولا ترفض الاصـــغاء . أليس كذلك ؟

آرشى : لمـــاذا لا يغنى قرانك أغنية أخرى ؟

فوبيـــا : أنا أحاول فقط أن أوضح لهـــا . لقـــد فتحوا واحدا فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـــر فى أوتاوا . وأخى چون يدير فندق تورنتو نيـــابة عنهم . ولكنهم يريدون منا أن نلحق بهـــم وأن يتولى آرشى ادارة فندق أوتاوا .

آرشى : ما الذى أعرفه عن الفنادق ؟ كل ما عشت فيـــه هو الجحور .

فوبيـــا : انه يغضب كلما ذكرت ذلك .

آرشى : بالله لا تقولى اننى أغضب كلما ذكرت ذلك مرة أخـــرى . لقـــد ذكرته ، أليس كذلك ؟ ولست غاضـــبا ، وانما أظن فقط انهـــا فكرة قـــذرة لا هدف لهـــا .

جسـين : متى كتبوا اليك هذا ؟

فوبيـــا : منذ نحو أسبوعين . أوه انها تقول اننا لا نحتاج لاتخاذ قرار قبل شهر أو شهرين .

جسـين : وماذا عن الأولاد ؟

فوبيـــا : فى وســـعهم أن يحضروا أيضا اذا أرادوا . أنا

لا أعرف شـيئا بخصوص ميك ، ولكن فرانك
مرتاح للفكرة ، أليس كذلك ؟

جـين : أحقـا يا فرانك ؟

فرانك : تلفتى حولك . هل تستطيعين أن تجدى سـببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المربع الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شـيئا هنـا يا جين ، لأنهـم لا يسمحون . ما من فرصـة أمامك . من أنت ؟ انت لا شيء . انت لا شيء ، فليس عندك مال ، وما زلت صغيرة . وعنـدما تبلغين آخـر الشوط ، من المؤكد جـدا انك ستظلين لا شيء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد انك ستكونين قـد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبـدئى فى التفكير فى نفسك يا جين لأنه ليس هناك من سيـقوم عنك بهذه المهمة . ليس هناك من سيقوم بهذه المهمة لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن . أوه ، قد يقولون انهم يفعلون ، وقـد يقتطعون بضعـة دراهم من أجرك كل أسـبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك،ولكن لا تصدقى

فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك . انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أين يذهبون طالما كانوا فى الوسط الملعون . (يكاد يغنى) أولاد الحرام المتهرئون . « أوه ، حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة . حين لا تكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : أوشين . انك ستوقظ البولنديين .

فرانك : يجب أن يوقظك انسان ما . « تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : يجب أن تذهب الى فراشك .

فرانك : انت وهذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج . انت وهى . كقرد على شجرة ، على ما أظن . أنا ذاهب الى الفراش .

(يخرج وهو يغنى واضعا ذراعه على كتف آرشى وملوحا للآخرين) .

آرشى : ليلة سعيدة يا ولدى .

فرانك : (يغنى) أيتها الصخرة التى نحتت من أجلى منذ القدم .

دعينى أخبىء نفسى فيك .

آرشى : على أى حـــال لا يمكنك شراء بـــيرة باص فى تورنتو .

فوبيـــا : اليك ، هذا ما تقوله : انها تتكلم عنا فيما يتعلق بسفرنا ودفع أجرة السفر الى آخره . وبعـــد هذا عن الوظيفة فى أوتاوا . الخبرة غير لازمة ، المهم أن يكون العمل فى يد واحد من أهلهم . انها تقول « لدينا جهاز تليفزيون واحد وعشرون بوصة وجهاز راديو الخ . والآن لدينا سيارة شـــيفروليه بل اير طـــراز ١٩٦٥ مزودة بناقل أوتوماتيكى وبكل الكماليات التى يطلبها الجميع هنا . أنا واثقـــة من أنك وآرشى ستستقران فى أقرب وقت وسيمضى كل شىء على خير وجه . (تطبق الخطاب بعناية) اعتقـــدت أنك تودين أن تســـمعى ما قالته .

جـــين : نعم ، أشكرك .

فوبيـــا : (بعد سكوت قصير) هل ستبقى سهران أكثر من هذا يا آرشى ؟

آرشى : أنا على وشك القيـــام .

فوبيـــا : أعتقد أننـــا جميعا مرهقون . لا أســـتطيع أن أحتمـــل كل هـــذه الانارة بعـــد هـــذا .
(لجيـــن) ليلة ســـعيدة يا عزيزتى . سامحينى ان كنت قد أبديت بعض السخف .

جـــين : انسى هـــذا . ليلة سعيدة . سوف لا أوقظك .

فوبيـــا : ليلة سعيدة يا آرشى .

آرشى : سآتى وأقول لك ليلة سعيدة .

فوبيـــا : شكرا يا عزيزى . علينا أن ندبر له مكانا للنوم، أليس كذلك ؟

آرشى : ميك ؟ أوه ، انه يستطيع أن يشاركنى فى فراشى.

فوبيـــا : نعم . انى أتوقع أنه سيكون فى غاية الارهاق ، الطفل المسكين . أوه حسنا ، لن يطول غيـــابه الآن . (تخرج) .

آرشى : لقد ذهبت الى كندا خلال الحرب .

جـــين : أذكر ذلك .

آرشى : لم أستطع الحصـــول على أى بـــيرة باص فى تورنتو ، ويبدو أنهم يعتبرونها انجليزية جـــدا (سكوت) انها ليست انجليزية جدا فى نظرى .

لست قادرا على هضمك فيما يختص بذهـابك الى ميدان ترافلجار ، هل تهتمين حقا بكل هذه الأمور ؟

جيـن : كنت أعتقد ذلك وقتئذ .

آرشى : هذه حال الباص والنساء ، آه . ألم أقص عليك أبدا حكايتى مع الراهبات ؟ لقد نظرن الى نظرة واحدة فقط ... أستطيع أن أتذكر وجوههن البيضاء السقيمـة وعيونهن الصغيرة ... نظرن الى مرة واحـدة ، واذا بهن جميعـا وفى نفس اللحظة وبطريقة تلقائية جدا جدا يرسمن علامة الصليب على أنفسهن . رسـن الصليب على أنفسهن وكانت هذه أكبر تحية ظفرت بها طول حياتى . فلنأخذ كأسا آخر من هذا ، أتوافقين ؟

جيـن : بالتأكيـد .

آرشى : لقد تشاجرتِ مع فوبيا الليلة .

جيـن : لم يكن شيئا هاما . بدا أنها انقلبت على فجأة.

آرشى : كان لى مع أمك موقف سخيف بسبب فوبيا .
(سكوت)

جيـن : ما علمت بهذا .

آرشي : لا أعلم ما الذي كنت أتوقعه حقا ، ولكني من وجه ما توقعت أن تقولي شيئا أكثر من هذا .

جسين : وماذا تنتظر مني أن أفعل ... أعقد حلقة للمناقشة في ميدان ترافلجار ؟

آرشي : كل أولادي يعتقدون أنني زير نساء . لم أعبأ أبدا بان أخفي ذلك على ما أعتقد ... وهذه هي الاجابة .

جسين : لعله يجب أن نذهب الى الفراش .

آرشي : لا ، أبقي برهة . أظن أن لدى كلينا القابلية . كنت قد ولدت لتوك حين طرأ ذلك الموقف ، وكانت أمك كما تقولين شخصا ذا ... شخصا ذا مبدأ ، فعرفتْ كيف ينبغي للناس أن يتصرفوا ، ولم يكن في هذه المسألة طريقان . لم تغفر لي أبدا على أي حال .

جسين : لم تكن تحبها ...

(آرشي قد سكر فهو يغني وينغم كلامه كما لا يستطيع الا سكران ، بطريقة موضوعيةومدروسة تقريبا كقائد أوركسترا يقود صوته) .

آرشى : بلى كنت أحبهـا . كنت مغرما بهـا مهما يكن معنى ذلك ، لا آدرى . على أى حال فقد ماتت بعد بضعة شهور ، وهذا ما كان . كانت أمك عميقة الاحساس بكل شيء ... أعمق بكثير منى. ولعله كان فى امكاننا آن نسير الأمور فيما بيننا. ألم أخبـرك أبدا بأكبر شيء مؤثر سـمعته فى حياتى ؟ كان ذلك عندما كنت فى كندا ... كنت أعبر الحـدود خلسة فى بعض الأحيـان لأقابل اناسا أعرفهم ، وذات ليلة سمعت زنجية تغنى فى بار . والآن سـوف تبتسمين لهذا ، سـوف تبتسـمين حتى يطـير عقلك المتعلم الانجليزى ، لانى اعتقد أنك لم تجلسى أبدا وحيدة شـبه منطوية فى أحد البارات وسط جمع من الأغراب على مبعدة آلف ميل من أى شيء تعتقدين أنك تفهمينه . ذلك انى اذا كنت قد رأيت فى حياتى أى أمل أو قوة فى النوع الانسانى ، فانما كان ذلك فى وجه تلك الزنجية العجوز السمينة حين قامت لتغنى عن اليسوع آو شيء مشابه . كانت فقيرة وحيدة مضطهدة كما لم ترَىْ انسانا فى حياتك ، أو كما لم أره أنا من هذا القبيل . بل اننى لم آكن أحب ذلك النوع من الموسيقى .

غير أن منظر هذه العاهرة العجوز السوداء وهى تفجر قلبها غناء للعالم كله ، يقنعك فى الصميم بطريقة ما ، انه مهما يكن مبلغ ما يعانيه الناس ؛ الناس الحقيقيون ، من الرفس والركل والاحتقار ، فانه عديم الأهمية طالما انهم يستطيعون أن يقفوا فيطلقوا صوتا عاليا نقيا طبيعيا مجردا كهذا ، فما من عيب فيهم ، انما العيب فى كل من عداهم . لم أسمع أبدا شيئا مثل هذا منذ ذلك الحين . لم أسمعه هنا قط . أوه ، لقد سمعت همسات منه فى احدى ليالى السبت فى مكان ما . أوه ، ولقد سمعه هو ، أعنى بيلى . لقد سمعهم يغنون منذ سنوات بعيدة ، هذا العجوز المسكين ، ولكنك لا تسمعينه الآن فى أى مكان ، ولا أظن أننا سنسمعه مرة أخرى ، فلم يبق من عنده مثل هذا الاحساس . كم أتمنى على الله أن أستطيع، كم أتمنى على الله أن أستطيع أن يكون لى احساس تلك الكلبة العجوز السوداء بخدودها المكتنزة ، ثم أغنى . لو اننى فعلت شيئا واحدا كهذا فى حياتى كلها لكفانى . فهو خير من أن تمضى فى عملك دون ضجة ، أو أن تفعلى شيئا

بنسـاء ، وخـير من كل مناقشاتك فى ميـدان ترافلجـار !! كم أتمنى من الله أن أكـون تلك الغرارة العجوز ، واذن لوقفت أهز صـدرى الضخم صعودا وهبوطا وأرفـع رأسى عاليـا وأصدر أعظم الضجيج جمالا فى هـذا العالم . يا آلهى لو استطعت . ولكنى لن أفعل ذلك ، فما عدت آبه لشىء حتى النساء أو بيرة باص . هل تظنين انك تفعلين شيئا من هذا ؟ أتظنين ؟

جـين : لا أدرى . الحق اننى لا أدرى . لعلى سـأفعل مثل ما تفعل تماما .

آرشى : بالطبع ستفعلين . واعلمى انك ستكونين أكثر نجاحا فى هذا ، فأنت أكثر مهارة ، وانى لأظن انك تحسين حقا بشىء ما أيضا ، على الرغم من كل ما قيل عن ميدان ترافلجار . انت من النوع الذى يسمونه عاطفيا ، تحملين كل استجاباتك معك حيثما سرت بدلا من أن تتركيها فى البيت. وعلى حين يجلس الآخرون على أيديهم تكونين أنت الفتى المتحمس الجالس فى المؤخرة يصفق حتى يوجع كفيـه . ولكنك سـتضطرين الى الجلوس على يديك كما يفعل كل الناس . أوه ،

لعلك تظنين اننى لست الا ممثلا عجوزا مهلهلا من ممثلى صالة الموسـيقى ، يجب أن أواجـه بالحقيقة ، مثل بيلى العجوز ، من أن النـاس ما عادوا يلبسون الثياب الفـاخرة والأحـذية اللامعة . أنت تعلمين انك عنـدما تصعدين الى هناك يخيل لك انك تحيّين كل أولئك النـاس الذين حولك هناك ، ولكنك لا تحبينهم . انت لا تحبينهم ولن تقفى لتحدثى ضـجة محببة . ولو تعلمت الأمر على الوجه الصحيح لاتخذت لنفسك أسلوبا . بوسعك أن تبتسمى ، ويحك تبتسمى ، وتلوحى انك أخلص وأجمل شىء فى الدنيا،ولكنك ستكونين هامدة متكلفة متهالكة، وستجلسين على يديك كما يفعل سائر الناس . انظرى الى هـذا الوجه . انظرى اليه . هـذا الوجـه يستطيع أن يتفجـر حرارة وانسانية ، يستطيع أن يغنى وأن يحكى أردأ الحكايات فى العالم وأبعدها عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخـاوية دون أى اهتمام ، دون أى اهتمام .دون أى اهتمام لأن ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفـة التى

هناك . لا اهتمام لانى لا أشعر بشىء ؛ ولا هم يشعرون ، كـلانا ميت كصاحبـه . اخبرينى ، اخبرينى بشىء. أريدك أن تخبرينى بشىء ، ماذا عساك تقولين فى رجل من مثـل سنى يتزوج فتـاة من مثل سـنك أو قريبـة من سنك ؟ لا تنزعجى . لقد قلت لك اننى لا أحس بشىء .

جسين : انك لا تستطيع !! لا تستطيع أن تفعل شـيئا كهـذا !!

آرشى : لقد ابتعدت عن أبيك العجوز فترة طالت قليلا . لم نر بعضنا كثـيرا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لا بأس .

جسين : لعلك لست جادا !! انك لا تستطيع أن تفعـل هذا بفوبيا ... لا تستطيع طلاقها .

آرشى : الأطفـال !! (يضحك) الأطفال !! انهم كقاعة الموسيقى اللعينة. لا تقلقى على رجلك العجوز... انه ما زال قلقا بعض الشىء على ميك الصغير ، أظنه كذلك على الأقل . لقد قلت لك انه لا شىء يحرك احساسى . وكما قال الرجل ، لقد دفعت شلنا وست بنسات ... أتحـداك أن تسلينى !! دع أى واحد هناك يقف ويمثل فاصلا ، دعهم

يقفــون ، لا يهمنى مبلغ جــودته . أن آرشى العجوز الميت وراء عينيــه جالس على يديه ، وقد فقد الاستجابة وهو على الطـريق . انت لا تظنــين اننى كنت ذا جاذبيــة جنسية تلفت النظر الى ، أليس كذلك ؟ انت لا تظنين اننى كنت ذا جاذبيــة جنســية تلفت النظــر الى ، أليس كذلك ؟ حسنا ، عندى محاولة يا سيدتى. عندى محاولة ، أليس كذلك ؟ عندى محاولة . فتاة البار هذه التى فى الكامبريدج . هذه الفتاة التى قلبت رأس بيــلى المســكين العجــوز فى الكامبريدج ... لقد نلتها ، فى غفلة منه ...

(تدخل فوبيــا) .

فوبيــا : ظننتك قد أحضرت شخصا ما هنا . لقد نادوا من أسفل الدرج . هناك شرطى بالبــاب يسأل عنك يا آرشى .

آرشى : انه محصل ضريبــة الدخل . اخبريه باننى كنت فى انتظاره . كنت فى انتظاره منذ عشرين سنة.

فوبيــا : (لجين) أظن أنه يبحث عن شخص ما هنا ... ماذا تظنينه يريد ؟

آرشي : ليس الا أنا وابنتي چين ... التي أنجبتهـا من حبي الأول . لمـاذا لا تعودين الى لندن ؟ قولي لي ، ألست مسرورة بانك عادية ؟ لقـد عشت طول حياتي أعمل سبعة أيام في الأسبوع ، أليس كذلك يا فوبيا ؟ أعمل سبعة أيام في الأسبوع . كنت دائما في حاجة الى قفزة آخر النهـار ... وأوله كذلك عادة . كمجرد قطعـة من لحـم الخنزير على اللوحة . حسنا ، انها مشكلة كل انسان ما لم تكوني مثل ميك خالية من المشاكل. نعم ، كان عنده مشكلة ولكنه الآن في طريقه . نعم أنه ولد بلا مشاكل . أنا نفسي رجل أعمل سبعة أيام في الأسبوع ، ومرتين في اليوم .
يا فوبيا المسكينة العجوز ، لا يبدو الهم عليك هكـذا يا حبيبتي . اما انهـم يفعلونهـا ولا يستمتعون بها، أو أنهم لايفعلونها ولا يستمعون بهـا . لا يبد الهم عليك هكذا يا حبيبتي . لقد سـكر آرشي مرة أخرى . انه ليس الا محصل ضريبة الدخل .

فوبيـا : لقد نزل فرانك ...

فرانك : (داخلا) أولاد الزنا !! أولاد الزنا المتعفنون !! لقد قتلوه . لقد قتلوا ميك . هؤلاء الخنازير

القـــذرة ... لقـــد قتـــلوه . أوه ، أولاد الزنا المتعفنون !!

آرشى : (يغنى ببـــطء) أوه يـــا ربى ، لا يهمنى أين يدفنون جثمانى ، لا ، لا ، يهمنى أين يدفنون جثمانى . لأن روحى ذاهبة لتحيا مع الله .

ســـتار

نهـــاية الفصل الثـــانى

(٩)

(موســـيقى جاز . الضوء على فرانك أمام البيـــانو) .

فرانك : أعيدوا جثمانه وادفنوه فى انجلترا
أعيدوا جثمانه وادفنوه هنـــا
أعيدوا جثمانه فى طائرة
ولكن لا تكلمونى أبدا .
تلك الملاعب التى فى ايتون
هى فى الحق سبب هزيمتنا .
ولكن لا فائدة فى الحزن
لانها هى بريطانيا التى نؤمن بها .
ولذا أعيدوا جثمانه وادفنوه هنا .

أعيدوا جثمانه فى طائرة ...
ولكن لا تكلمونى أبدا .

(يتلاشى) .

(١٠)

بيلى . فوبيــا . جين . فرانك . بيلى وفوبيا يلبسان السواد والآخران يلبسان شريطا أسود على الذراع .

جـسين : حسنا : هذا ما حدث . (تتناول صحيفة) هل يستطيع أى انسان أن يخبرنى الام انتهى الأمر كله ؟ (سكوت)

آرشى : كانت عمتى تقول نفس الشىء ، « نعم ، لقــد أرسلوه الى حيث لا رجوع » . كانت تقولهـــا دائما كل مرة . (لبيلى) أليس كذلك ؟

بيــلى : يا لروزى العجوز المسكينة .

آرشى : كنت أتساءل ماذا عساه يحدث اذا لم تقلها .

بيــلى : كانت روزى العجوز وأنا نقضى أوقاتا طيبة معا. وكنا كثيرا ما نخرج للنزهة معـــا . قبـــل أن تتزوج كلانا .

جـين : حسنا ، أظن الأمر يصيب انسانا ما بضربة . هل أنت بخير يا فوبيا ؟

فوبيـا : أنا بخير يا عزيزتى . متعبة قليلا .

بيـلى : أى مكان كانت لندن اذ ذاك لقضاء وقت طيب. أحسن مكان فى الدنيا للضحك . كان النـاس دائما على استعداد لأن يضحكوا ويرحبوا بك. كانت أحسن نظارة فى العالم .

(يعبر الى يسار الوسط ويحضر كرسيا ويجلس الى المنضدة) .

آرشى : كنت فى قرية صغيرة فى دونجال ذات مرة ، فى الرحلة الايرلندية كما تذكر . وفى صباح يوم وصولنا هناك جاءنى رجل وقال : « أوه ، نحن من كبار دارسى الدراما هنا . من كبار دارسى الدراما . وناقدونا المسرحيون يستطيعون أن يمسحوا أى انسان ... أى انسان » . واتضح أنه حداد القرية . ثم قال ، قال « اذا نجحت أمام النظارة هنا فستنجح أمام أى نظارة فى العالم » . وكان هذا حقا أيضا . فقد خرجت بضربة على عينى .

بيــلى : فى بعض الأماكن لا يفعلون شيئا الا أن يجلسوا ويحملقــوا فيــك . يجلســون ... لا غــير . أما لندن فقدكانت هى المكان. روزى العجوز... كانت امرأة جميلة . أنا مسرور لأنها ليست هنا الآن .

جــين : (تفتش فى الصحف) كيف تستطيع أن تنافس هذه الأشياء ؟

فرانك : ليس ذلك فى الاستطاعة .

جسين : لمــاذا لم يحصل انسان على صــورة لك وأنت توقد الغلايات ؟

آرشى : لا أعتقد أن ميك كان سيهتم بها جدا .

فرانك : كلنا مرهقــون .

جــين : كلنا مرهقون حقا . كلنا مرهقون . كل واحــد منا واقف حول المكان ، يتسكع دون أى مقصد، منتظرا أن يؤخذ بأى أمر قد يسمحون بوقوعه لنا بعد ذلك .

آرشى : بحق يسوع ، لا تشرعى فى أن تصيرى عاطفية...

جــين : لست أتوقع أن تصير كذلك .

....

آرشی : هذا صحيح .

جـــين : ولكن فرانك مختلف ... على الأقل أرجو أن يكون كذلك . ليس عليك أن تخاف يا فرانك. لست فى حاجة لأن تقلق من أن تكون عاطفيـا كخطيبى الموهوب . لن تموت بسببها . قد تظن أنك تستطيع ، ولكن لا .

آرشی : كان ميك العجوز يشبه جراهام الى حد ما ، فى الواقع كان يبدو أنه يعرف ما يريد والى أين هو ذاهب .

جسين : آكان كذلك ، هذا أمر مهم ...

آرشی : أذكر أنه كانت له علاقة بفتاة تسمى سيلفيا ، كان فى حوالى السادسة عشرة اذ ذاك .

جسين : ماذا جرى لك يا آرشی ؟

فرانك : لمـاذا لا تتركيه وشأنه ؟

آرشی : هذا صحيح ، لمـاذا لا تتركى رجلك العجوز وشأنه ؟

جسين : أوه ، لقد تركتك وشأنك تماما .

آرشی : هل أقول لكم ... ظللت طول حياتى أبحث عن

شيء ما . ظللت أبحث عن نوع من البيرة يمكنك أن تشرب منه طول المساء دون أن تجرى الى الخارج كل عشر دقائق ، وأن تشرب منه حتى دسكر دون أن تشعر بالسقم ، وكل هذا مقابل اربعة بنسات . والآن فان الرجل الذى يستطيع أن يقدم لى كل هـذا سـيظفر بصـوتى فى الانتخابات حقا . سيظفر به حقا . أوه ، حسنا ، لأن أصنع امرأة أيسر عنـدى على الدوام من أن أصنع رأيا .

جسين : أتعلم يا آرشى أنك زنديق بعض الشيء ..

فوبيسا : چـين ...

جسين : أنت كذلك حقـا ... انك زنديق تمشى على ساقين .

آرشى : ألأنى لا أهتم بشيء سـوى البيرة ؟ اسـمعى يا بنيتى ، سوف تكتشفين فى النهاية أنه لا يوجد انسان يعير أى اهتمام لشيء الا اذا كان حاجة حيوانية صغيرة . وبالنسبة لى هـذه الحاجـة الحيوانية الصغيرة هى البـيرة . والآن لمـاذا لا تستطيعين الكف عن مهاجمة كل انسان ؟

جسين : لا أستطيع .

آرشى : ماذا تظنين نفسك ... جرعة من الأملاح ؟

جين : هذا طبعى .

آرشى : حسنا ، ما آمنت فى الواقع أبدا بكل هذه النظافة الداخلية على كل حال. هل تركت زجاجة من البيرة هنا الليلة الماضية ؟

فوبيا : لا أظن هذا يا عزيزى .

آرشى : اذا لم تكونى على حذر يا چين فان الناس سيشرعون فى اطلاق النعوت عليك فى أقرب وقت ، واذا ذاك سوف تصبحين مجرد لا شىء. ستصبحين لا شىء كبقيتنا .

فوبيا : سيحضر لك فرانك بعض البيرة . لقد بقى شىء منها فى المطبخ . هل تسمح يا عزيزى ؟

فرانك : بالتأكيد . (يقف ويعبر عن يسار الكرسى)

جين : لا يمكن لنا جميعا أن نقضى وقتنا فى تسمير حقائبنا فى الأرض والتدلى من النافذة .

آرشى : وتسليك المجارى .

جين : انك مثل الباقين ولكنك أردأ حالا ... انت تستطيع تغطية نفسك بمجرد عدم ابداء

الاكتراث . (وتشير الى الصحف) تظن أنك اذا لم تبد الاكتراث فانك لا يمكن أن تحقر ، ولذا فانك تفرغ حياتك فى الصراخ بكلمات من أربعـة حروف مكتفيـا بالأمل فى أن الأمور ستصلح بطريقة ما .

فرانك : اتركيه وشأنه ، فهـو ليس الا مغموما مثلك . ولذا اسكتى .

جسين : سأقص عليكم قصـة آرشى رايس . حسنا . هل تريدون العناوين الرئيسية أولا ؟

آرشى : لم أحب القسيس على كل حال . لقـد كرهته حقـا . كان كأنما يريد أن يطـرد الجميـع ، هل لاحظت ذلك ؟

جسين : لا تخادعنى . انك لا تستطيع أن تخدع قطة .

آرشى : استمرى ... اشتمينى ، لا يهمنى . شىء واحد اكتشفته منذ زمن طويل ، هو أن معظم الناس لا يعرفون أبدا متى يشتمون . وأن كثيرا من الناس يجمعون كثيرا من المـال باستغلال هذا المبـدأ . انى متبلد كالبرميـل فى الحقيقـة . اعلمى انى لست خيرا من بقيتهم .

جـين : أوه الآن لا تشرع فى التواضع ...

آرشى : انى متواضع . أنا متواضع جدا فى الحقيقة . ما زالت بى أثارة" من الحقارة تدور فى داخلى. وما أظن بك شيئا منها .

جـين : وهذا كل ما فى الأمر .

فرانك : ما الذى جرى لها ؟

آرشى : لا تسـألنى يا ولدى ، لا تسـألنى . ما حللت لغزا طول حياتى أبدا .

جـين : ليست لديك المقدرة . كنت دائم الانهماك فى كره كل تلك الأشباح الغامضة التى فى الظلام العظيم ، أليس كذلك ؟ لقد كنت ماكرا حقا . (لفرانك) انى أريدك أن تعرف الحقيقـة فى شأن أبيك .

فرانك : اسمعى يا چين ، لقد دفن ميك منذ قليل . لقد دفن ولا يريد أحد أن يتحـدث فى ذلك أو أن يدخل فى شجار .

جـين : ماذا تريـد ، دقيقتى صـمت ؟ ان أباك ليس كريما وواعيا وعطـوفا فحسب ... أنه لا يأبه

بأى انسان . انه يســاوى مقــدار بنسين من لا شيء .

آرثى : نعم ، لا بد أن أقول أن هذا خير وصف لى .

جسين : لست بحاجة لأن تنظر الى . لقد فقدت أنا أخا أيضا . لمــاذا يريدنا النــاس أن نجلس هنــا ونكتفى بلف المسألة فى حجورنا ، لمــاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغلايات ، لمــاذا تقع بنــا هذه الأشياء ، وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ، وفى مساندة ماذا هى كلها ... أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفــاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟

فوبيــا : أظن اننى سأذهب لأنام . (لجين) لقــد كان طيبا معى على الدوام .

فرانك : هل أحضر لك قرصا من الاسبرين ؟

جــين : أن أحدا لا يصغى لأحد .

فوبيــا : شكرا يا عزيزى ، اذا سمحت . (لجين ببساطة) لقــد كان طيبــا معى على الدوام ، مهما يكن ما فعله ، على الدوام . (تخرج)

فرانك : سأحضر لك تلك البيرة .

بيسلى : عندى دائما ابريق منها على المنضدة فى البيت. معى المفاتيح هنا .

جين : (لآرشى) لا تستطيع أن تفعلها بها . لن أدعك.

بيسلى : نعم ها هى.

آرشى : يريد أن يعرف ما اذا كنت قد جددت التذكرة . كل شيء على ما يرام ... حصلت على ثلاثة شهور تجديدا لها .

بيسلى : آه ؟ (لجين) هناك .

جين : ما هذا ؟

بيسلى : ماذا جرى ... هل آذانكم اللعينة فى حاجة الى الحقن ؟

فرانك : أتريد شيئا من البيرة يا جدى ؟

بيسلى : ان أحدا لا يصغى لأى كلمة لعينة تقولها .

فرانك : قلت هل تريد شيئا من البيرة ؟

بيسلى : تلك هى العلة هذه الأيام . كل انسان منهمك جدا فى الرد والكلام على هواه بدلا من انهاء الأمر والعمل بما يقال له . لا ، انى ذاهب الى

الفــراش اذ على أن أبكر فى الخروج غــدا .
(لآرشى) فى أى وقت قلت ؟

آرشى : حوالى التاسعة .

فرانك : أين أنت ذاهب ؟

بيسلى : أبوك وأنا لدينا عمل معا . كان غريبا كل هؤلاء الناس الذين خلعوا قبعاتهم لميك الصغير اليوم.

فرانك : معظمهم لم يكونوا لابسين قبعات على أى حال.

بيسلى : فى أيام شبابى كان كل رجل ــ وكان كل رجل يلبس قبعــة فى تلك الأيام ، لــوردا كان أم جزارا ــ كان كل رجل يرفع قبعته عندما يمر بقبر الجنــدى المجهــول ، حتى فى ســيارات الأتوبيس . وفى هذه الأيام راقبت الناس الذى يمرون به غــير ملقين حتى مجرد نظــرة ، ولو نزعت عنه الأعلام فانى أتوقع أنهم سيجلسون عليه ويأكلون ساندوتشاتهم .

آرشى : كنت الآن أفكر فى ميــك الصغير وســيلفيا . كانت طفلة جميلة جذابة . وانى لأتساءل ماذا تفعل الآن . وأتساءل هل قرأت عنه فى الصحف حيث صار بطلا وطنيا وقتــل . ما أظن انهــا نسيته . هل تظنون ذلك ؟

فرانك : انى لأظن هــذا . هل أستطيع أن آخذ شــيئا من بيرتك ؟

آرثى : تفضل . انى لأذكر كيف قلقت على ســيلقيا . لم استطع أن أعرف الحقيقة من ميك الصغير ، وظننت آنها قاصر وهذا ما أقلقنى بعض الشيء، فحاولت أن أحادثه فى ذلك ولكنه كان يظن بى على الدوام نوعا من الغباء ، هذا صحيح كما تعلمون . أوه ، لم آكن آكترث لهــذا بل كنت أحبــه . (لچين) الحق أنه لم يأخــذنى على محمل الجــد ، فهممت وقلت له آخر الأمر : « حسنا ، اسمع يا ولدى ، من الواضح اننى لست بحاجة الى أن أوصيك بأن تكون حذرا». فلم يفعــل الا أن ابتسم فشعرت فجــأة بأننى كقسيس منهار . ولذا قلت له : « حسنا ، على كل حال انت تعلــم ما هو سن الرضا ، أليس كذلك ؟ » فجلس هناك بهذه الابتسامة المريعة على وجهه وقال « ستة عشر » .

جـــين : الى أين ستأخذ بيلى غدا ؟

آرثى : أظن أننى مضطــر للعودة الى برايتــون حيث أصير من جوابى الشاطىء .

فرانك : (لچين) هل لديك اسبرين ؟ يبدو أنه لا يوجد شيء منه هنا .

آرشى : ادلنز ... هذا هو المكان . فى أقصى برايتون .

جسين : (تعطى الاسبرين لفرانك) ألا تعلم ماذا يحاول أن يفعل ؟

آرشى : يمكنك أن تسكر سكرة طيبة من بيرة السايدر عندهم ببضع بنسات .

فرانك : لمـــاذا لا تتركهم فى حالهم ؟

آرشى : لم أذقه منذ سنين . بكم كان ؟

جسين : انه يفكر فى تطليقهـــا . انه يفكر فى أن يطلق فوبيا . لقد رأيتها ... تلك البنت التى يريد أن يتزوجها . انه مجنون ، هذا هو فى حقيقتــه . ما الذى سيحدث لها ؟ (تومىء الى الدور الأعلى).

فرانك : ما الذى سيحدث لكل منا ، اســمعى يا چين. يا حبيبتى ... يا حبيبة قلبى : انك لن تستطيعى تغيير أى انسان ...

جسين : هل رأيتها ؟ لقد ضبطتهما معا أمس فى الروكليف، وحققت النظر منها ، انها عذراء محترفة .

آرشى : انى أتساءل كيف تكون الآن . (لبيـــلى) كم كان ثمنها ؟

فرانك : الأفضل أن آخذ هذه (الاسبرين) اليها

بيسلى : ما هى ؟

آرشى : بيرة السايدر أيها المخرف العجوز .

بيسلى : وكيف لى بحق الجحيم اللعين أن أعرف ؟ انى لم أشرب هذا الشىء أبدا .

آرشى : نعم ان بها بعض الحموضة على ما أظن .

بيسلى : حوالى بنس على ما أعتقد ، بنس للكوز .

آرشى : أتوقع أن يكون حوالى شلن الآن .. (ســكتة قصيرة) ويمكن شرب البيرة كذلك .

جسين : (لآرشى) انهــا جميلة ، انهــا مدللة ، انهــا مغرورة ، وانها غبية . وربما كان أبواها غبيين . ولا بد أن يكونا كذلك . لا بد أن يكونا غبيين اذ أنجباها ... من لا شىء من طراز سنة ١٩٥٧ .

آرشى : هذا صحيح .

جسين : كم عمرها ؟

آرشى : عشرون سنة .

جـــين : عشرون . انهما لغبيان على ما أعتقد وسيسمحان لها حتى بالزواج منك .

آرشى : وللعلم ، أعتقـــد انى لم أصادف ســـوى امرأة واحدة ذات عاطفة قـــوية ، من النـــوع الذى أسميه ذا عاطفة قوية حقـــا . ولقـــد تزوجتُ زواجا سعيدا . كان اسمها ايڤى .

جـــين : أعتقد انك تفكر فى حملهم على أن يقدموا لك بعض المـــال أيضا .

آرشى : كانت هذه هى الفكرة .

جـــين : انك ســـتحملها على أن تضـــع حلقة فى أنفك وتوهم نفسك بأنك لا تحس بها لأنه لم يعـــد يهمك شىء . كما لا يهمـــك أى انسان . تظن أنك ان لم تستطع أن تنالها فلن يستطيع ذلك غيرك !! وماذا عن فوبيا ؟

آرشى : ايڤى وليامز ، كان هذا هو اسمها . مسز ايڤى وليامز . مسز ايڤى وليامز .

بيـــلى : حسنا ، أنا ذاهب . من الذى سنُقابله : روبنز ؟

بيسلى : كلاين .

بيسلى : شارلى كلاين . شارلى كلاين العجوز . كنت فى أول فرقة متجولة شكلها فى حياته ، أتعلم هذا ؟

آرشى : فى الثانية عشرة والنصف .

بيسلى : كان أصغر من چينى هـذه . وجعلته عضوا فى النادى الرياضى الوطنى . أنا الذى أدخلته .

آرشى : انه ابن حرام قوى .

بيسلى : أوه : شارلى يجب أن يكون على ما يرام . أنا الذى جعلته يوقع تعاقدا مع ادى درامر . الفنان العظيم ادى . ظل يكسب ألفا كل أسبوع لمدة خمس وعشرين سنة دون أن يتغـير . انه ولد طيب . هو من ذلك الطراز المعتـدل . لم يكن واحدا منا نحن القدامى الحقيقيين ، كما أنه لم يكن وحدا من أولئك المحدثين الذين يقدمون أعاجيب الخمس الدقائق فى الميكروفون . ليست عندهم الشخصية الحقيقيـة الآن . كان ادى ذا أسلوب دائما ولم تكن هناك أى شبهة أذى فى أى شىء يفعله . كان لنا جميعا أسلوبنا الخاص، وأغانينا الخاصة ... وكنا جميعا انجليز . والأهم

من هــذا اننا كنا نتكلم الانجليزية . كان الأمر مختلفا . كنا جميعا نعلم ما هي القواعــد . كنا نعلم ما هي القواعــد وحتى لو قضينــا نصف أوقاتنا في جعل الناس تضحك منها فاننــا لم نقترح أبدا بصفة جدية أن يحاول أي انسان خرقهــا . الممثل الحق هو رجــل حق ، وكل ما يحتاجه هو قطعــة من القماش تدلى وراءه وهو قادر بعد ذلك على أن يجعــل المشاهدين ملكا له لمدة نصف ساعة . انه يشبه عامة الناس وانما هو أكثر شــبها بهــم من أنفسهم ، اذا فهمتني . حسنا ، ما زال ادى هناك على مايرام. (لجين) كنت دائما أقــول له : بل كنا دائمــا نقول : « ادى ... كن طيبا على الدوام مع من تلتقي بهم في صعودك لأنك قد تعود فتلتقي بهم في هبوطك » . ادى العجوز ، انه واحــد من العظماء الحقيقيين كما ينبغي أن أقول . ينبغي أن أقول بل لعله الأخير . نعم ، ينبغي أن أقول لعله الأخير .

(يخرج) .

جــين : ماذا أنت فاعل ، ماذا ستفعل به ؟ لست تنوى أن تعيده مرة أخرى الى المهنة ؟

آرشي : روبنز وكلاين الساعة الثانية عشرة والنصف من صباح غد ...

جسين : انك ستقتل هذا الرجل الشيخ لمجرد انقاذ فرقتك الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ...

آرشي : ليس لمجرد انقاذ فرقتى الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ، بل لانقاذ أبيك المهلهل الذى لا خير فيه من دخول السجن . قد لا يقبل الناس على رؤية آرشي ولكن لعلهم ما زالوا يتذكرون بيلى رايس . انه أمر يستحق التجربة على كل حال .

جسين : أأنت مقدم على هدم هذا أيضا ؟ انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى كرامة أو احترام لنفسه ، انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى شيء على الاطلاق ، وأنت مقدم على قتله . ستأخذه الى ... من ذلك ؟ .. روبنز وكلاين غدا فى الثانية عشرة والنصف ، وستجعل مستر روبنز ومستر كلاين يوقعان شهادة وفاته . ما الذى تحمل نفسك على الاقدام عليه الآن ؟ كيف استطعت بالله أن تقنعه بأن يفعل شيئا كهذا ؟ ما الذى جرى له ؟ ما الذى أصاب غريزة المحافظة على الذات عنده ؟

آرشى : انه يحس بأنه مدين لى بهذا .

جين : مدين لك !! مدين لك !! بيلى ليس مدينا لك ولا لأى انسان بأى شيء .

آرشى : انظرى ، قبل أن تشغلى نفسك بمحاضرتى عن النظافة الداخلية ذهب بيلى وفعل شيئا ما . لقد ذهب فقابل والدى صديقتى الفتاة ، العذراء المحترفة التى رأيتهـا فى الروكليف . ذهب وقال لهم انى رجـل متزوج ذو ثلاثة أولاد كبـار . ثلاثة معترف بهم ... عـلى أى حال . غير أنى لا أظن بيلى العجـوز كان فى حاجـة الى أن يذكر بقيتهم .

جين : وهل أفسد المسألة ؟

آرشى : أوه ، نعم ... نهائيا . كما ترين لم أكن قد ذكرت لهم شيئا عن ... عن فوبيا ولا عنكم جميعا .

جين : لا ، أعتقد أنك ما كنت لتقول .

آرشى : واذن فأنت ترين أنك لم تكونى مخطئة يا جينى يا حبيبتى . فى شأن فوبيـا عـلى أى حال ... وآرشى العجوز سوف لا يظفر بعيشـه آخـر الأمر .

(١١)

آرشى : سيداتى وسادتى . بيلى رايس لن يظهر الليلة . بيلى رايس لن يظهر مرة آخرى . كنت أتمنى أن أغنى أغنيـــة له ... فى مكانه . أغنيـــة وداع ، ولكنى نسوء الحظ لا أستطيع . ولن يستطيع أحد . لن يستطيع واحد منا على كل حال .

(يخرج) .

(الستار الخفيف الامامى . موكب جنازة من آرشى وفوبيسا وجين وفرانك وجراهام والاخ بيل . يجتمعون حول نعش فى منتصف المسرح مسجى بالعلم البريطانى وعليه قبعة بيلى وعصاه وقفازه . فى الخلفية لقطـــات من الأغانى القديمة والانغام ودقة البانجو) .

تلاشى الى :

(١٢)

(الى اليسار فى المقدمة ضوء يغمر آرشى والاخ بيل . الى اليمين فى المقدمة ضوء على جين وجراهام . الاخ بيل يبدو كمحام بارز ناجح جـــدا ، كمـــا هو الواقع . جراهام دود قـــد يكون مثله بعد ثلاثين سنة بشرط أن يكون ناجحا . هناك كثير من هؤلاء . . .

حسنو الهندام ، مطمئنون ، نالوا قسطا
وافيا من التعليم ، كفسايتهم العاطفيسة
والعقلية محدودة الى درجة امكان اطراحها
من الناحية العملية . لديهم عجز ساحق عن
ان يلائموا انفسهم مع أى انسان فى ظروف
تختلف حتى بأقل القليل مع ظروفهم الخاصة .
جراهام دود لا يحتاج الى وصف كثير . اذا
كنت لا تستطيع أن تتميزه فمرجع ذلك الى
سبب واحد . المحاورتان التاليتان مستقلتان
ولكنهما تجريان معـا) .

جراهام : بكل اخلاص يا جين ، أنا لا أقصد أن أكون فظا . أعنى أن من المظاظة أن آتى فأقولها . ولكنى لا أستطيع أن أرى ما الذى يمكن أن يكون صفة مشتركة بينك وبين أى منهم .

جـين : لا تستطيع ....

جراهام : نعم أنهم أسرتك ، وما الى ذلك ، ولـكن فى آخـر الأمر تجىء نقطة ، تجىء نقطة فى الأمور ...

آرشى : لكم كان شيخا طيبا . حقا لقد كان . أتدرى من قال هذا ؟ شارلى كلاين . شـارلى كلاين قال ان بيلى الشـيخ كان أظرف عجـوز فى المهنة .

جراهام : ... فقد لا يبقى عليك أى مسئولية للناس .

آرشى : ومازال آرشى ممثــلا من الدرجــة الأولى .
مازال ممثلا من الدرجة الأولى .

جراهام : ... انها بيئتك وقد نشأت فيها ، ولكن هنــاك
أشياء أفضل وأجدر بالاعتبار فى الحياة .

آرشى : لقد كان واحدا من العظماء ، الحقيقيين .

جــين : آسفة يا جراهام . انى باقية مع فوبيــا . قلت
لك أننى اتخــذت قرارى فى الواقع قبــل أن
أســافر . لا أستطيع أن أتزوجك ، وما عدت
راغبة فى ذلك . وعلى أى حال فان عــلى أن
أبقى هنا . فالآن وقد مات بيلى أصبحت فوبيا
فى حاجة الى من يبقى بجانبهــا . وفرانك راحل
الى كندا فى ظرف أسبوعين ....

آرشى : جين تعتقد انى قتلته .

الأخ بيل : انك لم تقتله يا آرشى ، فالناس لا يقتلون بهذه
السهولة . لا أظن هذا .

جــين : نحن نعيش بأســلوبين مختلفــين . أنت وأنا
لا نتنفس حتى بنفس الطريقة .

الاخ بيل : اسمع يا آرشى ، هــذه آخــر فرصة أمامك . أصبح من المحتم أن تكون فى كندا . انت وفرانك وفوبيا ، تستطيعون جميعا أن تسافروا معا . لقد حجزت كل تذاكر السـفر لكم وهى معى فى جيبى . وهذه تذكرتك . فى وسعكم أن تذهبوا وتبدأوا حياة جديدة أنتم الثلاثة .

جراهام : أوه ، ما هــذا الا كلام فارغ . أنت لست مختلفة عنى . لقــد كنت تحبيننى ، أنت قلت هــذا . ولقــد استمتعنا بأنفســنا معاً ، وفى استطاعتنا أن نصنع حياة طيبة ، فأمامى مستقبل محترم موطأ ، وسيكون لنا كل ما نحتــاجه ، عودى معى يا چين .

آرشى : انك لا تستطيع الحصــول على بيرة باص فى تورنتو . لقد جربت ذلك .

جــين : ألم تركب مرة قطار سكة حديد هنا ، قطارا من برمنجهام الى وست هارتلبول ؟ أو ذهبت من ما نشستر الى وارنجتون أو ودنس ، ثم خرجت ومشيت فى الشارع وعلى أحد الجانبين قد ترى مصنعا كيمائيا وعلى الجانب الآخر حظائر بضائع السكة الحديد ، وبعض الأطفــال يلعبون فى

الشارع . قد تصل الى امرأة واقفة على عتبة باب بيتها . انها ليست عتبة باب فى الواقع لأنك تستطيع أن تصل رأسا من الشارع الى حجرتها الأماميه . ماذا يمكنك أن تقوله لها ؟ أى نبأ حق ، أى رسالة تستطيع أن تحملها اليها ؟ هل تقول لها : « سيدتى ، هل تعلمين أن المسيح مات على الصليب من أجلك ؟ » .

الأخ بيل : هذه التذاكر لك يا آرشى فخذها . سأدفع كل ديونك ، وسأسوى كل شىء ، واستوثق من أنه لن يحدث شىء .

جسين : وعندئذ تنظر المرأة اليك وتقول : « أوه نعم ، لقد سمعت كل ما قيل عن هذا » .

آرشى : ما الذى يحدث اذا لم أسافر ؟

الأخ بيل : لن أفعل شيئا لك لتبقى هنا يا آرشى . لا شىء بعد ذلك . كل ما فى الأمر اننى أخشى أن سيكون عليك أن تحتمل النتائج . فاما كندا واما السجن .

آرشى : أتعلم أننى اعتقدت على الدوام أن لابد من أن أدخل السجن . وانى لاظن أنه لابد أن يكون

أمرا مسليا . فمن المؤكد انى سأقابل شخصا أعرفه . أتعرف ماذا كانت تقوله صاحبة البيت فى فولهام عنك ؟ كان من عادتها أن تقول : « انه يبدو كما لو كان محافظ المدينة » . كانت دائما تقولها ... دون نسيان .

جراهام : كل ميسر لما خلق له . أليس هذا ما كان يقوله أبوك ؟

آرشى : انك لا تستطيع أن تحصل على أى شىء من مكتب العمل هذا على كل حال . يجب أن يكون عندهم فى هذا المكان ضجة أكثر من أى مدينة أخرى فى انجلترا . أوه ، حسنا شكرا لك على أى حال ، حفلتان أخريان فقط ، مع أن الأمر يدعو للرثاء ... كان بودى أن ، بودى أن أسجل الواحدة والعشرين ضد محصل ضريبة الدخل . لن أتمكن من بلوغ الحادية والعشرين الآن . لقد كان شيئا مفرحا أن تحصل على مفتاح الباب بطريقة ما .

جسين : وها نحن ، نحن وحيدون فى هذا الكون ، وكأنما لا اله هنا لك ، لكأنما بدأ الأمر كله بشىء بسيط ببساطة شعاع الشمس اذ يضرب فى قطعة من

الصخر . وها نحن أولاء لا نملك الا أنفسنا .
ومع هذا فان علينا أن نمضى بها . نحن لانملك
الا أنفسنا .

الأخ بيل : أنا آسف يا آرشى ، ولـــكنى قـــد تخليت عن
محاولة الفهم .

(يتلاشى الضـــوء) .

(١٣)

(روك آندرول . تابلو عراة وراء ستار
الفصل الأول الخفيف . بريتانيا . بعد هذا
موسيقى آرشى رايس، الواحدة والوحيدة ،
تقـــاطع البروجرام . يظلم المسرح . ضوء
كاشف على الزاوية المناسبة ويدخل آرشى .
يغنى بعض فواصل من « نحن جميعا فداء
العجوز الطيبـــة رقم ١ ») .

آرشى : « نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد
يا انجلترا العجوز الطيبة ، أنت لى كقدح الشاى
ولكننى لا أريد مساواة باهتة .
لا تدعوا مشاعركم تتوزع
ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن .
سنحافظ عليك و نرفعك أيها العلم .

أوه ، فرقم واحد هي الواحد الأوحد عندى
نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد .

لقد جئت الآن لأخبركم عن الزوجة . لقد عادت الى زوجها . عادت رأسا . لا تصفقوا بشدة فنحن جميعا فى بناء قديم جدا ، نعم قديم جدا . قديم . وماذا عن هذه . وماذا عنها ، آه ... هذه السيدة التى تلبس الخوذة . أظن أنها تتمايل قليلا ، اذا سألتمونى . انها تريد شيئا من لحم البقر يوضع فيها ... لحم البقر المحمر الذى كان لانجلترا القديمة . لا ، لا يوجد من يسألنى ، لا بأس . زوج من البيض المقلو اللذيذ على كل حال . انها فتاة طيبة مع ذلك ... فتاة طيبة . مخلصة لشارلى هنا ... أليس كذلك يا شارلى ؟ (لقائد الفرقة) قابلته فى باب دوار ومازالا يدوران معا منذ ذلك الحين . انى أحير نفسى ، تعلمون ذلك ، ألا تعلمون ؟ انى أحير نفسى هنا . عرايا ، هذا ما يسمونهن به يا سيدتى ، عرايا .

ويحى ان عليها من الملابس أكثر مما على . انه كثير من الوقار ، هذا كل ما هنالك . كثير من

الوفار . أوه ، لقد أضفت سطرا هنا . لابأس . لايهم . لقد كان لى بعض السقطات فى حياتى . بالشرف كان لى . أتتم تعتقدون اننى كنت جذابا جنسيا فى منظرى ، أليس كذلك ؟ لا بالشرف ، لا تعتقدون . اتعتقدين أنت يا سيدتى . انى أعتمد دائما على أنكم ستصبحون أقوى بعدها . (يغنى) « قولى ان فطيرتك لذيذة ، ولكنها لا تقارن بفطيرتى » . يوجد فى هذا الجانب رجل يلبس قناعا، تعرفون ذلك ، آلا تعرفونه ؟ انه ، انه واقف هناك ، أستطيع أن أراه ، لا بد أنه محصل ضريبة الدخل . ان الحياة مع هذا عجيبة،أليس كذلك؟ انها لكذلك ... الحياة عجيبة . انها كمص الحلوى وهى ملفوفة بالورق . أوه حسنا ، اننا جميعا نعمل فى صناعة الأسمدة الآن على ما أعتقد . حسنا أنا أفضل أن أتعاطى زجاجة بيرة فى أى يوم . هذا ما أفضله . انكم لا تصدقوننى . ولكنى أفضل ذلك . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ هيا قولوها ، تظنون اننى انتهيت . لقد انتهيت . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لقد انتهيت .

ما الذى جرى ؟ أتشعر بالبرد انت [illegible] ؟ قبل أن أنتهى بالفعل سيداتى سادتى ، أحب فقــط أن أحكى لكم حكاية صغيرة ، حكاية صغيرة ، هذه الحكاية عن رجل . مجرد رجــل صــغير عادى مثلكم ومثلى . صحا من نومه ذات يوم فوجد نفسه فى الجنة . فتطلع فرأى رجلا واقفا بجانبه ، واتضح أن هذا الرجل قديس أو شىء من هذا القبيل ، على كل حال فقد كان عضوا فى لجنة الاســتقبال . وقال القــديس للرجل : « حسنا ، انت الآن فى الجنة » . فقال الرجل : « أهــذا صحيح ؟ » فقال القــديس « نعم ، وأكثر من هــذا فقــد كسبت لنفسك السعادة الدائمة » فقــال الرجل « أحقــا ؟ » فأجاب القديس « بكل تأكيد . أوه انك فى خير حال. ألا تسمع الجماهــير ، كل واحــد يغنى ، كل واحد مسرور ، ماذا تقول يا ولدى ؟ » .

وعندئذ أجال الرجل الصغــير بصره فيما حوله ورأى كل أهل الأرض مصطفين ومن ورائهــم الكون ، فقال للقديس « حسنا ، هل أستطيع أن أصعد الى حيث تقف لألقى نظرة شاملة ؟ » فقال القديس « طبعا تستطيع ذلك يا ولدى »

ثم أفسح له مكانا . فوقف الرجل الصغير حيث كان القديس وتأمل المنظر الذى أمامه ، فى كل جيوش السماء وما يليهـا . وقال له القـديس «ان كل عجائب الأبدية ومباهجها من حولك». فقال «أتعنى أن هذهى الأبدية واننىف الجنة؟» قال « هذا صحيح يا ولدى ، فماذا تقول ؟ » فأعاد الرجل النظر حوله قليـلا فقال القديس « حسنا يا ولدى ؟ » فأجاب « حسنا ، لطالمـا تساءلت فيما عسى أن أقول اذا حدث هـذا لى يوما ما . لم أستطع أن أتصور هذا من ناحيـة ما » . فتبسم القـديس فى عطف وقال له مرة أخرى « وماذا تقـول اذن يا ولدى ؟ » فقال الرجل الصغير «شيء واحد أستطيع أن أقوله» ثم قال « حسنا » فشعر القديس كأن يدا هائلة لطمتـه على وجهـه ، وتوقفت الحشـود عن الغناء ، وخبأ الملائكة وجوههم ، وخشعت كل الأصوات فى الجنة لحظة من لحظات الأبدية . واستعصى الكلام على القديس لحظة ، ثم طوق الرجل الصغير بذراعيه وقبله ، وقال له « انى أحبك يا ولدى من كل روحى ، وسأحبك على الدوام . لقـد أقمت على انتظار تلك الكلمة

منذ حضرت الى هنا». انه هناك بقناعه الصغير، أستطيع أن أراه . أوه حسنا . عندى فرصة . أليس كذلك ؟

(يرتفع الستار عن مسرح مظلم عار . تبدأ الموسيقى هادئة . ويقف آرشى رايس على المسرح فى هـالة صغيرة مستديرة من الضوء ويبـدأ اغنيته فى رقة) .

لمـاذا يجب أن أحمل الهم
لمـاذا أتركه يمسنى .
لمـاذا لا أجلس وأبكى
لأتركه يمر من فوقى ؟

(يبـدأ فى التعثر قليلا) .

لمـاذا يجب ....
لمـاذا يجب أن أتركه يتغلب على ...
ما فائدة اليأس ؟

(يتوقف ويحملق امامه . الموسـيقى تستمر ثم يستأنف هو) .

لو رأوك وأنت مهموم
فسوف يحتقروك .

(يحملق ثم يستمر) .

ولذا فلماذا ، أوه ، لماذا أشغل نفسي
بحمل الهم .

(تظهر فوبيا من ناحية اليسار تحمل معطف مطر وقبعة) .

آرشي : لماذا أحمل الهم
لماذا أتركه يمسني
لماذا لا ....

(يتوقف . تستمر الموسيقى . ويسير هو نحو فوبيا التي تساعده على ارتداء معطفه وتعطيه قبعته . يرتد ثم يعود ثانية الى دائرة الضوء) .

لقد كنتم متفرجين طيبين . طيبين جدا . متفرجين طيبين جدا . فلتخبروني أين تشتغلون مساء غد ... وسأحضر لرؤيتكم .

(يمشي نحو مؤخرة المسرح مع فوبيا . الضوء مسلط على المكان الذي كان يقف فيه .

(آرشي ، يستمر الاوكسترا في عزفه « لماذا احمل الهم » وفجاة تنطفيء هالة النور الصغيرة ، ويصبح المسرح عاريا مظلما . ذهب آرشي رايس ، ولم تبق الا الموسيقى .

ستار

النهاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٩ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ـ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ـ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ـ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ـ مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	ـ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ـ الغربان	هنرى بك
٧	ـ اليكترا	جان جيرودو
٨	ـ توركاريه	ر . لوساج
٩	ـ الدائرة	سمرست موم
١٠	ـ شاترتون	الفرد ديفينى
١١	ـ الأم	كارل تشابك
١٢	ـ اللعبة الغادرة	جون جالزوورذى
١٣	ـ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شبين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزوردى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دوريمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجنون سبنج
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرتر ميلر
٥٩	أونديين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	ميفافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجنون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبه المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الشركة المصرية للطباعة
حسن مدكور وأولاده
٣٠ شـارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ ــ ٤٨٩٢١

روائع
المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات
عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ومكتبة المثنى ـ بغداد
ودار العلم للملايين ـ بيروت ، ومكتبة المنار ـ تونس
ومكتبة الرشاد ـ الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي با

الثمن ١٠ قروش

الشركة المصرية للطباعة (
يناير ١٩٦٦